الوصفُ الأثريُّ والمعماريّ لقصبة الجزائر التاريخية

حسن إبراهيم حسن سلام
أ.د. سعد عبد المنعم بركة
أ.د. إيمان البسطويسى

ملخص البحث

حي القصبة بمنازله البيضاء المطلة على المتوسط، وأزقته الضيقة الملتوية، يعتبر من أهم معالم الجزائر. فموقعه الإستراتيجي في أعالي العاصمة، جعله على اختلاف العصور وأنظمة الحكم المتعاقبة شريان المدينة النابض، بدءا من الفنيقيين مرورا بالأمازيغ ثم الدولة العثمانية ووصولا إلى فترة الاستعمار الفرنسي. وسوف نقوم فى هذا البحث بسرد لأهم المعالم التاريخية للمدينة القديمة بالقصبة والموقع الفلكى والجغرافى للمدينة وأهم العادات والتقاليد للسكان المقيمين بالقصبة وأخيرا سوف نتحدث عن حالة مدينة قصبة الجزائر اليوم .

Abstract:

The Kasbah Area with its white houses overlooking the Mediterranean, and its narrow, twisted alleys, is one of the most important landmarks of Algeria. Its strategic position at the top of the capital has made it, in all ages and successive regimes, the city›s vibrant artery, from the Phoenicians to the Amazighs to the Ottoman Empire to the French colonial period. In this research we will list the most important historical monuments of the old city of the Kasbah and the astronomical and geographical location of the city and the most important customs and traditions of the population living in the Kasbah and finally we will talk about the status of the city of Kasbah of Algeria today.

مقدمة

مدينة «الجزائر» عاصمة الدولة «الجزائرية» منذ أوائل (القرن ١٦)، فتعد من المدن المعروفة بأثارها في الحقب التاريخية بالعالم الإسلامي؛ إذ تجمع في الاستراتيجية تميزًا بموقعيها الطبيعيّ و الفلكيّ عنصرين في غاية الأهمية؛ ساعدا في كون هذه المدينة _عبر السنوات الماضية_ من أهم المدن الغنية بالثروة المائية الوافرة، فقد عاشت هذه المدينةُ أثناء «الحكم العثمانيّ» انتعاش في الأحوال الاقتصادية، وهدوء بالأحوال السياسية، فيرجع الفضل لهما في تقدم العمراني والإنشائي (على خلاصي ، ٢٠٠٧ ، ص ٥:٩) .

ويُقصد بلفظ «القصبة» أي: المدينة المحكمة، وبها مجموعة من الأبواب، وتتحكم فيها عدة صفات حياتية معينة تتصف بالحسم، ومنها الالتزام بمواعيد خاصة بفتْح، وإغلاق المداخل الأساسية، وتعتبر «القصبة»

الموجودة بالجزائر؛ متصدرة على القَصَبات الأخرى الكائنة بدولة « الجزائرية»، من الجوانب الإنشائية، كقصبة «بجاية» وقصبة «وَرْقلة» الموجودة بجنوب «الجزائر»، ومثل قصبة «قسنطينة»، ولا نظيرتها من القصبات المشهورة بالعالم العربي كالموجودة بسوريا، والمغرب، وكذلك تونس، وقد تبين بالإحصاءات الأخيرة بأن «القصبة» من المناطق الثرية؛ بوجود إنشاءات قديمة ترجع إلى وقت مكوث «الأتراك» بالجزائر بلغت(١٠٠٠ مبنى)، كما بلغت (٤٥٠ مبنى) تم إنشائهم في وقت احتلال «فرنسا» للجزائر، وقد تم تغيرات أثناء احتلال «فرنسا» لدولة «الجزائر» (عام ١٨٣٠م)، وقد أزيل عدد هائل منها؛ لمنح الدول الأجنبية فرصتها، وقد تحملت «القصبة»_ الصامدة_ الكوارث الكونية الشديدة التي كان لها الأثر الملاحظ بالمناطق الأخرى، فقد وقع الزلزال في (آخر شهر مايو عام ٢٠٠٣)؛ وترتب عليه أثارًا فادحةً من الخسائر الباهظة فى المبانى الاثرية. في حين أن «القصبة» تجذب الكثير من السائحين من شتى بقاع الأرض، كما يزيد عدد زوارها يوميًا عن(٥٠٠ ألف شخص)؛ لما لها من مكانة اجتماعية، وتاريخيّة ، علاوةً على تردد الكثير من خبراء علوم الآثار، والحضارة عليها، لتحليل علومها القديمة (عصام بن الشيخ ، ٢٠١٨م ، مقالة منشورة) .

الإطار النظرى للدراسة

١- مشكلة البحث:

القصبة هى التحفة التاريخيّة المغاربية التي لا تزال تلهم الأدباء والفنّانين الجزائريّين حتّى الآن، "العاصمة القديمة" كما يسميّها البعض أيضا، ما زالت صامدة لقرون طويلة في قلب مدينة الجزائر البيضاء، وهي رمز خصوصية العاصمة الجزائريّة اليوم، تقف شاهدة على تفاصيل المرحلة العثمانية ومرحلة الاحتلال الفرنسيّ، والثورة الجزائريّة ضدّ الاحتلال الفرنسيّ الذي دام ١٣٢ عاما، فرغم قدم أحيائها ظلت تحافظ على تراثها التاريخيّ المنقوش داخل البيوت والمحلاّت، وفي الأزقّة، وعلى الجدران والنوافذ والأبواب القديمة التي تحكي ألف حكاية وحكاية. ولابد هنا من الحديث عن تاريخ بدأ فى الإندثار نظراً لتدهور حال المدينة وقلة أعمال الصيانة التى تتم لها على الرغم من كونها إحدى المدن التاريخية النادرة .

٢- أهمية البحث:

فقد احتوت الدراسة على تفصيل شامل للأماكن الأثرية، ومنها ما تركه العثمانيين أثناء وجودهم بالجزائر، والتحليل المعماري للقصور المنشئة بالقصبة بتلك الأوقات، والوصول لأشهر المساجد حينذاك، وكيف التعامل معها، وما هي الطرق الفنية التي تم بها علاج العيوب الزمنية، وما هي الأعراف المتوارثة بمدينة القصبة، وهل لها من آثار باقية عبر الزمن أم أنها تلاشت بالكلية، ومقارنة عادتها بالوضع الحالي في القصبة.

٣- أهداف البحث:

وهناك عدة أهداف لهذه الدراسة، ومن أهمها:

١) إثراء المكتبات بإحدى المواد العلمية التاريخية عن القصبة يمكن الاستفادة منها، والرجوع إليها.

٢) معرفة شاملة عن الموقع الفلكيُّ، والطبيعيُّ بقصبة الجزائر التاريخيّة.

٣) التعرف على موقع ومناخ القصبة الجزائرية.

٤) الرجوع للإطار التاريخيّ بمدينة الجزائر

٥) حصر شامل لمساجد القصبة الجزائرية التاريخيّة من حيث، وصف كل مسجد وموقعة وكيف تم معالجته وترميمه.
٦) التعرف على قصور مدينة القصبة، من حيث تاريخ القصر ووصفه وترميمه
٧) توضيح لأبواب القصبة، وأسواقها.
٨) بيان التنوع في العنصر البشريّ بقصبة الجزائر عبر التاريخ.
٩) توضيح للبيئة التجارية، والاقتصادية في القصبة، وأهم المهن التي كانت موجودة بالقصبة
١٠) معرفة على بعض تقاليد، وعادات أهل القصبة العتيقة.
١١) التعرف على الحالة التي عليها القصبة في وقتنا الحاضر.

٤- منهج البحث:

يُعد المنهج التاريخي من أكثر مناهج البحث تطبيقاً في أوساط الباحثين، ولكنه - بالمقابل - يكاد يكون أقلها وضوحاً في مفهومه لديهم، بدليل عدم الدقة في تطبيقه، فهناك عدد كبير من الباحثين يطبقون المنهج التاريخي على أنه عبارة عن جمع المعلومات المرتبطة بموضوع البحث من مصادرها المختلفة، وترتيبها وإخراجها جديداً يتلاءم مع عنوان البحث. وقد إعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي وذلك من خلال خطوات تطبيق المنهج التاريخي الاربع وهي:

** جمع المصادر الأساسية الموجودة سواء أكانت مكتوبة أو مصورة أو مجسمة، أو مسجلة ...إلخ.
** استبعاد جميع المصادر - أو بعض معلوماتها - غير الصحيحة.
** الاقتصار على المعقول من المصادر الأساسية.
** تنظيم وإخراج الأدلة الثابتة في عرض علمي مناسب.

أولاً: الإطار الجغرافي لمدينة «الجزائر»:

تعد مدينة «الجزائر» - وهي عاصمة الدولة « الجزائرية» منذ بداية (القرن ١٦)_ من المدن الأثرية العريقة عبر التاريخ في العالم الإسلامي؛ إذ تجمع في الاستراتيجية بين الموقع الفلكي، والطبيعي وهما عاملين مهمين ساهما في جعل هذه المدينة في الفترات السابقة من أهم المدن العريقة التي كانت تزخر بثروة معمارية طائلة. حيث شهدت هذه المدينة خلال «الحكم العثماني» ازدهارا اقتصاديا، واستقرار سياسيا؛ كان لهما أثرا كبيرا في تطوير الحركة العمرانية والمعمارية للبلاد.

١- الموقع :

تتمتع «الجزائر» بموقع متميز بين دول العالم؛ فيحدها من الناحية الشمالية «البحر الأبيض المتوسط»، ويحدها من الشرق «وادي الحراش»، ويحدها من الغرب «وادي ماء زعفران»، فأصبح شكلها العام مائلًا إلى الاستقامة من أعلى الحدود الشمالية إلى منتهى الحدود الجنوبية، وتختلف هذه المدينة بشكل مميز لتضاريسها العميقة، والمنبسطة في أقاليمها المتنوعة في الهضاب، التلال، وبعض الأماكن التي توصف بالانحدار نسبيا. وتتركز الكتلة السكانية بالساحل_ مع العلم أن هذه المناطق من المناطق الخطرة_ ويرجع ذلك لعدم مناسبة المناطق التي يَكثر بها التضاريس للحياة البشرية الملائمة (محمد الطيب عقاب ، ٢٠٠٧م

، ص٢٣) .

وقد صُممت مدينة «الجزائر» العثمانيّة بهيئة هندسية تشبه شكل المثلث، أعلاه «القصبة»، وتأخذ شكل «الملابس البيضاء»، ولذلك أُطلق عليها فضيلة الشيخ «ابن مسايب التلمسانيُّ» ـ بإحدى أشعاره ـ : (بلد الجير)، ومن هناك تنخفض انخفاض طفيف اتجاه الساحل، ومن خلف الأماكن المضادة بالميناء، والاستحكامات يقع بما يُطلق عليه: المنطقة السفلية بالمدينة، أو بالقصبة الأدنى، وبها تأخذ المعيشة شكلها الطبيعي من ممارسات، وأنشطة تجارية .

واستوجبت هذه الاستحكامات المختلفة للوظائف التي أسسها مجموعة من المهندسين، وخبراء متقدمين، ومتطورين، ومواكبين التقنيات الحديثة بمجال الهندسة المعمارية العسكرية، وتعديل النظم الدفاعيِّة بالمدينة، ـخصوصًا تلك الاستحكامات الشديدة والتي ترجع لفترة «الحكم العثمانيّ»ـ بإنشاءاتها الفريدة بداخل المباني، أو خارجها، ويعد ذلك مما شجع الكثير من الخبراء، والعلماء، والفنانين، والشعراء، والأدباء لزياتها، الذين يرجعون إلى (القرن ١٢هـ/ ١٨ه) يغنون بأنغامها مثل: عبد الرحمن الجامعيِّ بقوله: ((«الجزائر» وهي والحمد لله دار الجوهر الفرد بالأدب، وعلوم العقل .....)) (رزوق نعيمة ، ٢٠١١م ، ص٢٥) .

٢- المناخ :

تتأثر مدينة «الجزائر» بحسب الموقع الجغرافي وقربها الشديد من البحر فتأخذ مظاهر الطقس الملائم بالمنطقة « الجزائرية» في الساحل؛ حيث تكتسب سخونة مياه البحر المتوسط من ناحية، كما أنها تكتسب برودة المياه بالمحيط الأطلسيِّ من ناحية أخرى، وتعتبر أنها من أكبر جهات الانخفاضات الجويَّة القادمة من المناطق الغربية إلى الشرقية، وكونه سبب لنزول أمطار غزيرة، فتأخذ المنطقة أوصاف شبه صحراوية (محمد الطيب عقاب ، ٢٠٠٧م ، ص٢٥) .

كما توجد مجموعة من الجبال والتي تتواجد من الشرق إلى الغرب، والتي تَحجُبها عن التأثيرات الصحراويّة، ويظهر هذا التأثير بالرياح القبلية التي تأتي للمدينة على أوقات مُتقطِّعة؛ ويرجع ذلك لارتفاع بدرجات الحرارة، والذي يتسبب في إعاقة سقوط الأمطار، وتعتبر ظاهرة الأمطار أحد أساسيات المُشكلة للمناخ، أما الأمطار التي تسقط بمدينة «الجزائر» بسبب نشاط الرياح العائد من المناطق المُشبعة بالرَّطْوبة من المسطَّحات المائية بالبحر المتوسط، وأيضًا المحيط الأطلسيّ، ويتحدد المتوسط السنويّ للأمطار بنسبة حوالي(٧١٨مم)، وأحيانًا يتخطى النسبة حتى يصل إلى(١٣٤٢مم)، وتسقط الأمطار بغزارة بفصل الشتاء، حيث يبدأ سقوط الأمطار بمنتصف شهر نوفمبر، وتبلغ الأمطار ذروتها في شهر ديسمبر.

وعن نسبة الحرارة، فإن المتوسط الحراريَّ خلال السنة لا يتخطى(١٩ درجة مئوية) بمدينة «الجزائر»، كما يلاحظ وجود تفاوت بدرجات الحرارة على المدار الشهري؛ بسبب اختلافات الفصول الأربعة. (سميحة ناصر خليف ، ٢٠١٩ ، مقالة منشورة) .

٣- موقع قصبة الجزائر :

وتقع قصبة مدينة «الجزائر» بأخر الحدود الجنوبية الغربيّة بالمدينة_ وهو المكان المشهور باسم «الجبل»، بين عدة قطاعات إدارية منها: «دار الآغا»، و«الجامع البرّانيّ»، و«بيت المال» . يَحدُّها من الناحية الشمالية «حدائق الرَّائق»، أو المشهورة: (بجنان الداي)، يليها «الإصطبلات» المخصصة لخيول «الداي» وكذلك

خيول أعضاء حكومته، أما الناحية الجنوبيّة حي «الثغريين» (على خلاصي، ٢٠٠٧ ، ص٨).

ومن جهة الجنوب الشرقي، فتجاور أسوار «المدينة الشرقية»، و«الباب الجديد»، و«الطريق المحوري» بينها، وبين حي «الثغريين»، وللأسف رغم الموقع الاستراتيجيِّ المميز_ الذي عرفت به هذه المنطقة_ فلم يكن لها دورٌ معين؛ لأن مكان الحاكم كان بالمنطقة السفلية بالمدينة، وحتى عام (١٢٩٢ ه/ ١٨١٧ م) عندما غير «علي خوجة» مكان الإمارة؛ بأن تكون بالقصبة العليا. وكان أغلب السكان يمثلون عامة الشعب ويسكنون بهذه المنطقة، بخلاف المنطقة السفلية الموازية للبحر كانت مقرًا سكنيًا مخصصًا للحكام وقناصل الدول الأجنبية، ورجال الحكومية، وأصحاب النفوذ، والثروة، ورؤساء البحر (نور الدين عبد القادر، ١٩٦٥م ، ص ١٣٢) .

ثانيا: الإطار التاريخيّ لمدينة «الجزائر»:

قديمًا كانت مدينة «الجزائر» على هيئة أرض لا يُعتد بها، ولا يُنظر إليها، ويُطلق عليها عند البربر (آرغل)، وتعني: «الجزء المستور الغائر»، وبما يخص أصل نشأة مدينة «الجزائر»؛ فانقسمت الآراء حول ذلك، فالبعض يقول: أن سبب نشأتها يعود لقدامى سكان «شمال أفريقيا»، ويرى البعض: أنهم «اليونانيين»، كما قال فريق: بأنه يرجع للفينيقيين، على دليل أن تاريخ الآثار التي وجدت في مدينة «الجزائر» _إلى الآن_ ترجع للحقبة التاريخية «الفينيقية»، حيث أن في هذه الحقبة يرجع الظهور الحقيقي لمدينة «الجزائر» إلى ما قبل ثلاثة آلاف عام ، فهي المدة التي جاء فيها «الفينيقيون» لأرض ذلك الوطن بالقرن الثالث قبل الميلاد، وعلى الراجح أنهم كانوا يمتهنون مهنة البحارة، وكانت تجارتهم تمتد إلى المحيط الأطلسيِّ، واشتهر عنهم أنهم كانوا يمتلكون مقرات تجارية بطول الشريط الساحلي الشمالي لأفريقيا، وقد جعلوه إحدى المحطات البحرية المهمة عبر الأزمنة، وسموا «الجزائر» (إيكوسيم)، فقد ساهمت تلك الاكتشافات على تعين الاسم القديم للمدينة وهو (إيكوسيم - Ikosim) فهو من الأسماء «الفينيقيُّة» (العربي إيشبودان ، ٢٠٠٧م ، ص٢٠:١٧) .

وإن كلمة «إيكوسيم» مكونة من جزئيين (إي) وتُعني: الجزيرة، و(كوسيم) وتُعني: الشوك، أو مجموعة من الطيور الغير طاهرة، والبعض اعتبر هذه الكلمة تعبر عن: الرقم ٢٠ ؛مستندًا في تحليله على رواية المؤرخ، والنحويِّ، والكاتب الرومانيِّ اللاتينيِّ «صولان» _وقد عاش بالقرن الثالث عشر الميلاديّ_، والتي جاءت بها بداية مدينة «الجزائر»، لكن أكثرية الأقوال أجمعت على أن هذه اللفظة تشتق من الكلمة اليونانية «إيكوس»، وهي يُقصد بها: العدد ٢٠، والراجح بأنه كان عدد هؤلاء «الرَّحَّالة»، فقد حَكّموا العقل في تلك التسمية واختاروا ذلك الاسم؛ حتى لا يُنسب الاسم لأحدهما دون الآخر، وتشتهر المنطقة باسمه.

ومع الوقت ظهر اسم «إيكوسيم» بعد العثور على عدد من القطع النقدية صُنعت ما بين(١٥٠ و ٥٠ ق . م) أسفل أحد البيوت في «القصبة» السفلى –وهي ما تعرف باسم «ساحة الشهداء» بالوقت الحالي– في (عام ١٣٥٩هجريًا / ١٩٤٠ميلاديًا) ومطبوع عليها الاسم ذاته، وقد ساهمت تلك الاكتشافات الأثرية القديمة على تعين حدود المدينة «الفينيقية» كما هو موضح في صورة رقم (١) ، ثم تبعًا لهذه النقوش يتأكد بأنها سابقة (للقرن ٢ ق. م)، ويُظن بأنها كانت على هيئة حيّ بسيط، ثم تحول إلى مدينة، وكان ذلك بعد إقامة مدينة «قرطاجة» بتونس منذ(القرن ٩ قبل الميلاد)، وخلال حكم المماليك «النوميدية» ظلت

مدينة «الجزائر» تحت نفوذ الحاكم ـالموريتانيـ «يوبا»، ثم تحولت بعد سقوط «قرطاجة» في (عام ١٤٦ قبل الميلاد)، والتي كانت مدينة «إيكوسيم» تتبع لها، خاضعة تحت السيطرة الرومانية، وهذا منذ (عام ٤٠ ميلادي)، ثم أصبحت مدينة «الجزائر» تحت مملكة «موريتانيا القيصرية»، وسُميت باسم «لاتينيً»، فأصبحت باسم «إيكوسيوم».(رزوق نعيمة ، ٢٠١١ ، ص٢٩) .

صورة رقم (١) وتوضح الاكتشافات التي تحدد موقع المدينة التي أنشأها الفينيقيين، والتي تعتبر أصل حي «القصبة»، مصدر الصورة الباحث.

وبحسب الأقوال، بأن اسم «الجزائر» سميت على هذه المدينة، وسبب ذلك؛ يرجع للعثور على عدد من الصخور الضخمة المتتالية بمقدمة الشاطئ وهي شبيهة بالجزائر بمنظرها، وشكلها الطبيعيّ، وكانت من بين تلك الصخور هذه الصخرة التي أقام بها «الإسبانُ قلعتهم» الشهيرة(سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ ميلادي)، وقد تم توصيل هذه الصخور بالتراب، وتلاحمت ببعضها، فاتصلت بالشاطئ في المدينة عن طريق رصيف ممتد، وأُقيم في آخره مركزًا عسكريًّا، وظل موجود إلى وقتنا الحالي، ومنذ تلك الحقبة أُطلق عليها اسم مدينة «الجزائر» .

وفي فترة العهد «الرومانيّ» فعندما سقطت مدينة «قرطاجة» (عام ١٤٦ ق.م)، والاستيلاء على بلاد «نوميديا» من جهة المعسكرات «الرومانية»، فوقعت مدينة «الجزائر» تحت الإمبراطورية «الرومانية»، وتشهد تلك الحقبة جزء من آثار هذه المدينة «الرومانية» والتي كانت أبسط في الانتشار من وضعها (عام ١٨٣٠ م). وحينما جاءت الفترة الإسلامية أسست مدينة «بني مزغني» على بقايا مدينة «إيكوزيوم»، وسجل القرن الخامس الميلاديّ سقوط الإمبراطورية «الرومانية» بإفريقيا. وفي (عام ٤٢٧ م) وقعت اشتباكات، وصراعات محلية انفضت بمجيء «الوندال»؛ للمساهمة في القضاء على الفوضى، والتغلب على التسيب، ووضع نظم للنهوض والوقوف من جديد، في حين أنهم خططوا للسيطرة على «روما»، وإحراقها

فيما بعد، وقاموا بتجميع مستوطناتهم بشمال إفريقيا، واتسع استيلائهم حتى المحيط الأطلسيّ(رزوق نعيمة ، ٢٠١١ ، ص٣١-٣٠).

بالإضافة إلى أن فترة حكم «الوندال» لم تزيد عن قرن، وفي (عام ٥٣٣ م) استطاع الحاكم اليونانيُّ البيزنطيُّ «بيليسير» (Be)lisaire) الإطاحة «بجيليمير» (Ge)limar)، والسيطرة على المناطق المستولى عليها في «إفريقيا» الشمالية، وكان موقف مدينة «إيكوزيوم» أثناء مدة استيطان «الوندال» والاحتلال البيزنطيّ فلا يوجد دلائل تاريخية ذات قيمة توضح كيان المدينة عبر هذه الحقب، ومن ذلك الفترة لم يكون لتلك المدينة أيّ معلومات وحتى آخر القرن السابع الميلادي، وحتى أوائل الفتوحات الإسلاميّة، إلى آخر النصف الثاني من القرن العاشر الميلاديّ، وتلك هي الفترة التي قد تم دخول «المسلمين» فيها إلى شمال إفريقيا، وهم الذين كان يرجع لهم الفضل بطريقة سياستهم المميزة التي يلاحظ بها المساواة، والانضباط، والعدل، وتحولت المنطقة إلى منطقة إسلامية بدخول العديد الناس الإسلام، فأصبحت المدينة من بداية (القرن ٤ه / ١٠م)؛ تندرج تحت الحكم الإسلامي (رزوق نعيمة ، ٢٠١١ ، ص٣٢) .

وفي الوقت التي لجأت إليها قبيلة «بني مزغني» _وكانت مجاورة لها في السكن بالمنطقة_ شهدت المنطقة الاستقرار، والأمن، والسلام واشتهرت بذلك، وقد عُرفت بتربية أنواع القطيع المختلفة، وتقدمت في مجال الزراعة، وخاصةً زراعة الشعير، والحنطة، وقد قضت تلك القبيلة وقتًا بالقرون الأولى في «الفتح الإسلامي» مع «العائلة العلوية»، وقضت مدة على تفاهم وأمان بين آثارها الرومانية، وظل هذا التجاور متجمع بجوار من «الجامع الكبير»، وبشمال «القصبة» يقصد بشدة القرب من الأسوار الغربيّة، وبموازاة جامع «سيدي رمضان»، وقد شد موقع المدينة المميز «زيري بن مناد» _وكان حاكم عليها بالقرن الثالث من الهجرة التاسع الميلاديّ وقت الخليفة المنصور الفاطمي_ وقد شاهد استراتيجيتها، وقابليتها للتطور، والتقدم؛ مما دفعه أن يأمر ابنه «بلكين» بتأسيسها من جديد، وجعلها عاصمة خاصة به، آخذًا بالاعتبار هذه الخصائص الداخلية أثناء البناء على نظام إسلامي وهو الذي أُسست عليه أغلب المدائن الإسلامية. (يحي بوعزيز ، ٢٠٠٦م ، ص١٣-١٤).

ثم نُقلت الخلافة من «العالبة» إلى «بني سالم» برئاسة «سليم التومي» وهذا الرجل الذي تبع_ الرجل المهتدي_ سيدي «عبد الرحمن الثعالبي»، ومن أجل حكمه الظالم اضطر سكان أهل المدينة يلجؤون لـ«بربروس» فأتى هذا الأخير، واتخذ هذه المدينة عاصمة لمملكته وانفضت دولة «بني زيان» وتسليم الحكم النهائي للأتراك العثمانيّين(عام ٩٦١ه/ ١٥٥٤م) بعد أن ظلت تحت الحكم لمدة ثلاثمائة عام وسنتين.

ولما جاء الحكم «العثمانيّ» واجهت مدينة «الجزائر» _مثل أغلب مدن الساحل بإفريقيا_ العديد من المشاكل، والعقبات، كما استطاع «الإسبان» السيطرة على مدينة «وهران»، وميناءها المشهور، ثم «بجاية»، بمواجهة هذا الموقف المؤسف، فلم يكن لدى سكان «الجزائر» من أي وسيلة تنجدهم من تلك الأحوال، إلا اللجوء للفريقين المسلمين، الأتراك « خير الدين، وعروج »؛ لوجود الروابط الشديدة بينهما، وقد بلغوا شهرة عالية بحوض البحر المتوسط، وقد عملوا على الأخذ بيد المسلمين الأندلسيين؛ بسفرهم للمدن المطلة على الساحل في شمال «إفريقيا»، وكانت منها كذلك مدينة «الجزائر»، فقد أُشتهر عن مدينة «الجزائر»

الاستقرار السياسي الكبير خلال فترة «العهد العثمانيّ»، فلم ترصد حروب ذات دماء كبير، فنستطيع أن نشير بأن وجود «الكيان العثمانيَّ»؛ يُعد حائلًا ضد الحروب، والصراعات الأهلية فيما بين العشائر دون بعض الثورات فأحيانًا كان بين الجنود «الأتراك» وفي مرات أُخر بين القبائل، ومجاراة لإدارة المدن، وتسيرًا لشؤونها بأتم الأشكال_ بعد دخول تطويرات الكثير من قطاعات الدولة « الجزائرية» من الجهة الإدارية_ فقد قام العثمانيّون بتقسم إقليم «الجزائر» إلى أربعة ولايات: «ولاية «الجزائر» أو دار «السلطان»، وتكون خاضعة لسيطرة الحاكم مباشرةً، ويليها ولاية «تيطري»، ومقره مدينة «مدية» يليها ولاية «الغرب»، ومركزه مدينة «مازونة» ثم تم تحويلها إلى مدينة ذات نظام عسكري ثم إلى «وهران».

وأما ولاية الشرق فيوجد به مقر «الباي» في مدينة «قسنطينة»، وقد تم تقسيم كل ولاية إلى عدة أقسام متعددة يُطلق على كل واحدة منها: بالوطن، ويحتوي على الكثير من الأعراش، ولكل واحد من هذه الأعراش رئيس، إذن فقد تألقت الفترة العثمانيّة في تاريخ «الجزائر» في أوائل الربع الأول من القرن السادس عشر الميلاديّ (٩٢٢ه/ ١٥١٦م) بالاحتكاك «الإسبانيِّ»، وانقضت بالنصف الأول من القرن التاسع عشر الميلاديِّ (١٢٤٦ه/ ١٨٣٠م) بالغزو الفرنسيِّ بشكل اجتماعيٍّ جيد، وتقدم في الأحوال الاقتصادية، خصوصًا عندما تحكمت فيه مجموعة من العوامل كان لها طابع مؤثر ومميز على جميع اتجاهات الحياة الاقتصادية، والاجتماعية (مؤيد محمود حمد – سلوى رشيد ، ٢٠١٣م ، ص٤١٢-٤١٣) .

وأخيرا فإن القصبة هى التحفة التاريخيّة المغاربية التي لا تزال تلهم الأدباء والفنّانين حتّى الآن، "العاصمة القديمة" كما يسميّها البعض أيضا، ما زالت صامدة لقرون طويلة في قلب مدينة الجزائر البيضاء، وهي رمز خصوصية العاصمة الجزائريّة اليوم، تقف شاهدة على تفاصيل المرحلة العثمانية ومرحلة الاحتلال الفرنسيّ، والثورة الجزائريّة ضدّ الاحتلال الفرنسيّ الذي دام ١٣٢ عاما، فرغم قدم أحيائها ظلت تحافظ على تراثها التاريخيّ المنقوش داخل البيوت والمحلاّت، وفي الأزقّة، وعلى الجدران والنوافذ والأبواب القديمة التي تحكي ألف حكاية وحكاية.

ثالثاً: التخطيط المعماري لمدينة «القصبة»

تظهر قصبة الجزائر كمثال نموذجي للمدن المغاربية التقليدية، التي توجد في الجزء الغربي من البحر المتوسط وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. لا يزال المجمع الحضري الذي يشكل القصبة يحتفظ بنزاهته، على الرغم من مختلف الطفرات .

لا تزال القصبة تحتفظ بالقصور والمساجد والأضرحة والحمامات التي تمثل دائما هوية الموقع. والهندسة المعمارية في القصبة تشمل الموروثات العثمانية، التي يرجع تاريخها إلى فترة الحكم العثمانى للجزائر ، كما إحتفظت المدنية بأصالة المدن المغاربية. وتبدو القصبة كمكان ذو قيمة كبيرة . خلال فترة الاستعمار هُدمت بعض المباني لإقامة منازل على الطراز الأوروبي، ولا سيما على الواجهة البحرية وعلى حدود الجزائر الوسطى. القصبة أيضا تملك في محيطها مباني على طراز هوسمان (المعمارى الذى أعد تصميم باريس) تعود إلى الحقبة الاستعمارية، وتدمج في تصنيفها التراثي، وهناك أيضا بعض التغييرات في المساكن مع إدخال مواد غير أصيلة واختفاء الدائرة التجارية للمواد التقليدية .

كان للقصبة تأثير هام على العمارة والتخطيط في شمال «إفريقيا» و«الأندلس» وجنوب «الصحراء الكبرى»

أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، تظهر هذه التأثيرات عبر طابعها السكني الخاص، وعبر كثافة التراكب الطابقي، مما يشكل نموذجًا فريدًا للاستيطان البشري؛ تناغم فيه نمط الحياة الموروث ،والعادات الإسلامية، مع أشكال أخرى للتقاليد.

تمتلك «القصبة» تنظيمًا للفراغ العمراني يتوافق مع الموقع وبروزه، وحتى اليوم لا يزال هذا التنظيم متجهًا إلى البحر، وإمارة البحر التي هي ميناء المدينة التاريخي. وصف المعماري «لوكوربوزييه» تخطيطها: بالمتقن، مُبديًا إعجابه بتراكب المنازل الطابقي على المنحدر التي تتميز بإطلالتها جميعاً على البحر. (Leila Khell ، ٢٠١٥م ، مقالة منشورة) .

و»القصبة» :حي شعبي يقع في قلب العاصمة «الجزائر»، شُيد على هضبة تطل على «البحر الأبيض المتوسط»، وتتوسط عدة أحياء مثل: «باب الواد» و»سوسطارة» و»وسط العاصمة». تُقابل من يدخل الحي من جهة «جامع اليهود»، منازل متشابكة بطلائها الأبيض، الذي قشّرته عوامل الزمن، وأبواب خشبية مزخرفة بأشكال عثمانية.

أما من جهة «باب الجديد»: فتبرز أزقة ضيقة، ومتعرجة، يستغرق الخروج منها وقتا طويلا؛ نظرا لتشابك شوارعها المبنية على منحدر. ومن بعيد تبدو «القصبة» هرمية الشكل، تبدأ قاعدتها من «ساحة الشهداء» وينتهي رأسها عند «دار السلطان» (أحمد دوم، ٢٠٠٢م، ص١١).

- **عمارة أبواب القصبة الخارجية**

كانت تبني عموما على شكل موحد فهي مقوسة مبنية بالحجر ودمجه في سور المدينة بجانب الحصن الذي يحميها وجميع هذه الأبواب مزدوجة أي لديها منفذين لا يتقابلان خارجي وداخلي، تحمل مصراعيها الخشبيتين زخرفة معدنية في شكل مسامير بارزة حسب خطوط هندسية كما أن لمرها سقفا معقودا وزوا مقببة ويوجد أعلى الباب نصب رمزي تذكاري يشير إلى اسم الحاكم الذي أمر ببنائه . يختلف شكل الأبواب في القصور وكذا في المساكن العامة .

- **الدعائم والأعمدة**

- الدعائم: من بين العناصر التي يعتمد عليها المباني والدعائم موجودة في المستوى الأرضي للقصور وتحتوى على نوعين، منها المستقلة كالتي توجد في قصور خديوج وقصر عزيزة ، وحسن باشا، و قد تكون الدعائم مربعة أو مستديرة ومنها متصلة بالجدار فتبدو بارزة عنه قليلا ويتم بناء هذه الدعائم بالطوب الاجور ونادرا ما تتخللها بعض الأحجار المهذبة وذلك في شكل متراص موحد النمط ومحيطها متقارب فيما بينها إذ يتراوح في الدعائم المستديرة بين ٠,٦٥م ٠,٨٥م أما محيط الدعامات المربعة فيتراوح طول أحد أضلاعها بين ٠,١٩م و٠,٢٥م بينما يكون طول الجزء البارز عن الجدار ما بين ٠,١٧م إلى ٠,٢٣م وعرضه بين ٠,١٥م إلى ٠,٢٠م .

- الأعمدة

النوع الأول: أسطواني الشكل أملس البدن استعملت في مداخل القصور واستعملت هذه الأعمدة كذلك في المطابخ لبعض القصور والمباني.

النوع الثاني: للأعمدة فهو موزع في الأروقة وهو على نمطين حلزوني ويكمله الثاني نصفه مثمن الأضلاع

والآخر حلزوني و هذه الأعمدة يقع عليها عبء رواق الطابق العلوي، وربما طوابق أخرى بما كان حسب مسافات متساوية ضمان لسلامة المبنى من الانهيار ، وتوزيع الأعمدة يبلغ طول الأعمدة في الأروقة بين ١,٨٨م و ٢,١٠م ،٢٠,١م وقطرها بين ١٥ ,٠م و ١٢ ,٠م . (أبو القاسم سعد الله،١٩٨١م ، ص٥٤) .

- **مواد الزخرفة:**

- الأجر والحجر والقرميد.

الأجر: يعتبر من المواد الرئيسية في عمارة قصور القصبة بل وفي كل المساكن والمباني العامة غير أنه استعمل في مجال الزخرفة إذ تشكلت منه أفاريز عند بداية الطوابق على شكل صفوف متدرجة من البرونز و كذالك الأفاريز المتدرجة للأواوين البارزة عن جدران المنازل حيث روعي في تنفيذ القطع الأجرية الأفاريز من الناحية الجمالية.

الحجر: لم تكن هناك عناية كبيرة في الزخرفة عليه على غرار البناء إلا انها استخدمت في بعض النقوش القليلة جدا

القرميد: لقد استعمل القرميد خلال العهد العثماني في المباني بحاجة السكان إلى السطوح المستوية في وظائف اجتماعية عدة مع مراعاة الناحية الجمالية في وجوده واستعمل في تغطية سطح الباب الرئيسي للقصر وغطيت به بعض أسطح الأفاريز المتبقية في القصور وأهمية هذه الأفاريز منع قطرات المطر من الانسياب إلى أروقة القصور وجعلها تنزل مباشرة الى الصحن ولون الجزء البارز باللون الأخضر، الجزء الخلفي بدون تلوين. (محمد الطيب عقاب ، ٢٠٠٧،ص١٠٨) .

الرخام: ارتبط استعمال الرخام في القصور بالأخص فى الأماكن التي لها علاقة وطيدة بتدعيم المباني، وطعمت بعدة عناصر زخرفيه، وذلك على اطر الأبواب والنوافذ والأعمدة، وقواعدها وتيجانها وكذلك ألواح درجات سلالم وأفاريز جدران الأروقة الفاصلة بين الطوابق المشكلة بأسلوب التدرج الإنفراجي.

الخشب: استعمل بكثرة في القصور وخاصة أعمده المظلات والأبواب الخارجية للقصور، الدرابيز، والأبواب و الخزائن الجدارية وسقوف السلالم مع حواملها ومحاور الأبواب الكبرى للغرف .

- **العمارة المنزلية في القصبة**

تمثل العمارة المنزلية بيتا إنسانيا تقليديا من الثقافة الإسلامية وعمق البحر الأبيض المتوسط . التصنيف مستقر نسبيا بين القصر ومسكن حرفي متواضع. البيت النموذجي في القصبة يبدو مجمع، متجاور وله واجهة واحدة فقط. وتشير التقديرات إلى أن هذا النمط من البيوت المجمعة يعود إلى الحقبة الزيرية. مساحة سطح الأرض عموما ما بين ٣٠ م² و ٦٠ م² .

للبيت دائما منظر مطل على البحر بفضل السطح، وعادة ما يتم توفير الضوء من قبل الفناء أو في كثير من الأحيان، من خلال نافذة التي تواجه الشارع. باب المدخل لديه دائما شبكة للسماح بتهوية أزقة الطابق السفلى بالهواء النقي. البيت الجزائري العاصمي يدور نحو الداخل، وبصورة أدق نحو فناءه وسط الدار، والذي هو قلب الحياة ويشمل بئر مياه . مكان مبهج للعائلات، والتي تتكون مع أربع عائلات في المنزل، أيضا الفضاء تقليدي للضيوف. الجدران عبارة عن منشآت بناء مصنوعة من الطوب الترابي غير المطبوخ. الأرضيات مصنوعة من جذوع خشبية . الغطاء مسطح، مصنوع من سماكة كبيرة من الأرض، حتى ٧٠

سم في الشرفة، والطلاء من الجير. (فوزى سعد الله ، ٢٠٠٧، ص٦٠) .

وتنقسم منازل القصبة إلى عدة مجموعات فرعية هي « البيت العلوي »و« بيت الشبك »و« بيت الرواق » والقصور.

بيت العلاوي هو الوحيد الذي لا يوجد به فناء والهواء والضوء يصلانه من النوافذ. – في بعض الأحيان طابقين – يضم غرفة كبيرة واحدة.

بيت الشبك غالبا ما يكون التبعية دويرا من منزل أكبر ويقع الفناء الضيق جدا في الطابق الأول وهو مرصوف بالرخام، في حين أن الغرف ارضيتها من بلاط من الطين. تستخدم الجدران أيضا بلاط السيراميك والجير.

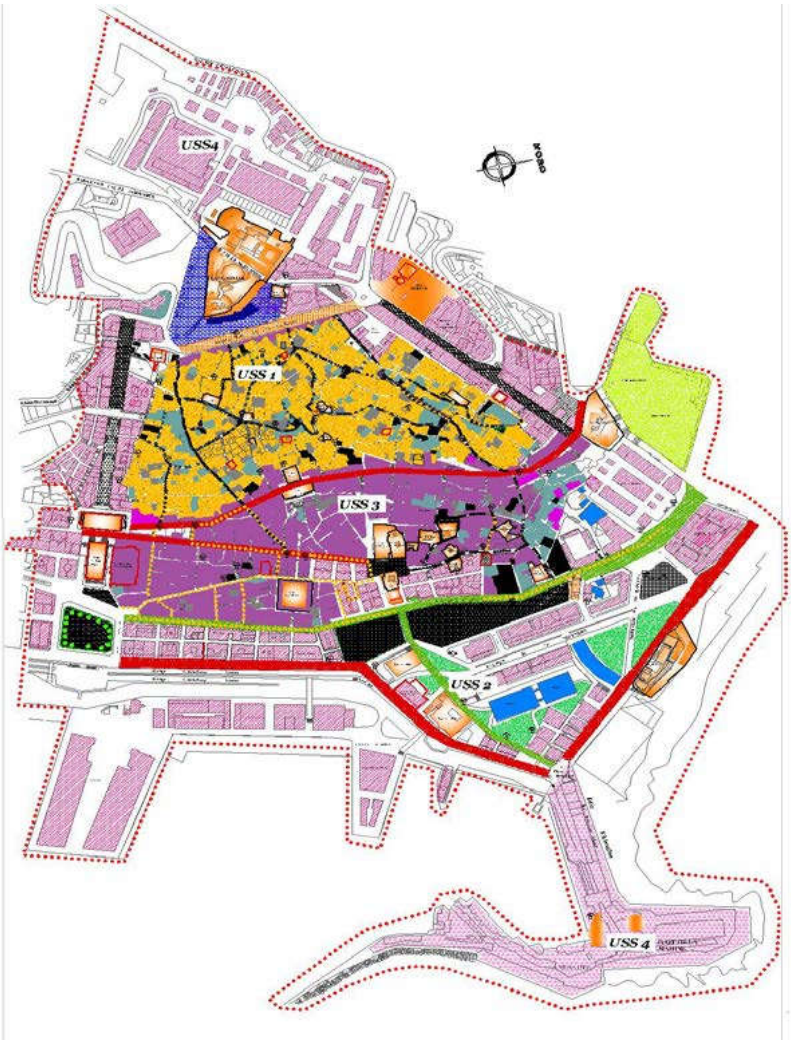

صورة رقم (٢) وتوضح مخطط معماري لمدينة «القصبة» « الجزائرية» يوضح الحدود الجغرافية لها ، مصدر المخطط خلية «القصبة» المسئولة عن ترميم قصر الداي .

صورة رقم (٣) وتوضح لقطة جوية لمدينة «القصبة» توضح مدى الازدحام الشديد للمباني وضيق الشوارع الداخلية، مصدر الصورة خلية «القصبة».

صورة رقم (٤) وتوضح لقطة من الأقمار الصناعية توضح التخطيط العام للمدينة، مصدر الصورة Google Earth .

رابعاً: أهم مساجد «القصبة»:

١- جامع صفر الشهير بجامع سفير :

التسمية، الموقع: يقع هذا المسجد _حاليًا_ بجوار زاوية شارع «الإخوة وشارع «روان عبد الحميد» (مونتابور سابقًا)، وكان هذا المسجد منذ البداية موجود بالقسم الشمالي من «القصبة» المسمى بالجبل، وأشتهر هذا المسجد الآن بمسجد «سفير»، وجاءت تسمية جامع سفير من اسم سفر بن عبد الله، أكبر قادة الطائفة البحرية العثمانية بالجزائر في فترة حكم الإخوة بربروس (فتحية فرحى ، ٢٠١٧م ، ص٥٠) .

- **وصف المسجد:**

يأخذ الجامع من ظاهره على شكل هندسي مكعب، وتبلغ مساحته بمقدار(٥٠ , ٣٩٩ متر مربع تقريبًا)، ويوجد للجامع شكلان: شكل أساسي يتضمن بابين يُشرفان على شارع «الإخوة» (بشارة كليبر سابقا)، وله باب ثاني بالجهة الجنوبيّة الغربيّة والتي تُشرف على شارع «روان عبد الحميد» (مونتابور سابقا)، ويوصل إلى مكان الصلاة ذات الشكل المربع، والتي تغطيه بقبة ضخمة، وتمثل أرضيتها ثمانية أضلاع، وتشترك «القبة» بمكان الصلاة بأربعة من الأعمدة، وتألق هذا «الجامع» بمئذنة ثُمانية الأضلاع، والتي تعود إلى جذور شرقية والتي ظهر أثرها على الشكل المغربيِّ ذو الأضلاع الأربعة، وتتسم أسطح «الأروقة» الملتفة بالقبة الأساسية تعتمد على أقواس بارزة، ذو مبنى بسيط، وأما هيئة «المحراب» فتتميز بالعديد من الألوان الجذابة، وبنقوشه المزخرفة، ويُكسى بالقيشانى الأزرق، والأبيض، وبجوار هذا «المحراب» من جهة اليمين يوجد «دكة المبلغ»، وقد صُنعت من الخشب، فهي قائمة على عدد أربعة من الأعمدة الخشبية، ومحاط بها درابزين، ويوجد بوسط الدكة حنية بسيطة على شكل نصف دائري تتجه باتجاه «المحراب» ذاته (محمد حاج ، ٢٠١٥م ، ص٥٧).

ويحتوي جامع السفير على منارة أو مئذنة سداسية الشكل تشبه منارة مسجد البراني الذي يوجد بمحاذاة الدخلة الرئيسية لقلعة الجزائر، قاعة الصلاة داخل هذا المسجد قاعة كبيرة تشبه في تشكيلتها قاعة صلاة مسجد ((علي بتشين)) الذي يوجد في منطقة زوج عيون بالقصبة السفلى. ويستوعب الجامع ٣٠٠ مصلي .

وجامع السفير صورة طبق الأصل لجامع كتشاوة في القصبة وبالتحديد في القصبة العليا يقبع جامع السفير وهو تحفة معمارية فريدة من نوعها، حيث كان جامع السفير سابقا مصلى ليس بكبير الحجم فجاء الداي حسن باشا في ١٧٩٨ وقام بتوسعات داخل المصلى ليصبح بعد ذلك جامعا. وقد شهد المعلم أول ترميم له في عهد الإدارة الفرنسية، حيث قام المستعمر الفرنسي بتشويهه مما أثر على هندسته المعمارية وأفقده جماله الهندسي الأول والمتأمل في الشكل الهندسي والمعماري لهذه البناية الإسلامية يلاحظ أن جامع السفير هو صورة طبق الأصل في هندسته وشكله لجامع كتشاوة، قبل أن يتحول هذا الأخير إلى كاتيدرائية سان فليب في عهد الاحتلال الفرنسي، وهو ما يؤكد، حسب بعض المصادر التاريخية، أن المهندس الذي أشرف على بناية جامع السفير هو نفسه من قام بتصميم جامع كتشاوة نظرا للتشابه الكبير بين البنايتين في شكلهما الهندسي.

وقد وجدت لوحة رخامية تؤرخ لتأسيس هذا المبنى في سنة ١٥٣٤م الموافق لعام ٩٤٠هـ، تدل على ذلك

وتذكر اسم خير الدين بربروس و عبد الله صفر، وهي لوحة مستطيلة الشكل، نقشت عليها الكتابة باللغة العربية، باستعمال خط النسخ، و بأسلوب الحفر البارز. (سيد أحمد باغلي، ١٩٨٢، ص٦٨) .
ويحتوي النص على ثمانية أسطر، كتبت حروفه باللون الأخضر، خال من الزخرفة والإعجام والتشكيل.
وهذا نص الكتابة:
بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي رفع السماء وبسط الأرض وفضل بقاعها بعضا على بعض وجعل أفضلها بقاعا تؤدى فيها النفل والفرض والصلاة والسلام على محمد الشفيع في يوم العرض وسلم تسليما وبعد فهذا مسجد عظيم ومقام كريم أسس على التقوى وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه وأركانه وأمر ببنائه الفقير إلى مولاه مملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا خير الدين أيده الله ونصره وهو عبد الله سبحانه صفر غفر الله ذنبه وكان ابتداؤه في شهر رجب الفرد من العام الفارط عن عام تاريخه والفراغ منه ثاني شهر ربيع الأول عام أحد وأربعين وتسعمائة جعل الله ذلك خالصا إلى وجهه الكريم بدأت هذه اللوحة بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أشارت إلى أن هذه المساجد هي أفضل بقاع الأرض، وفي ذلك إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل بقاع الأرض مساجدها». وقد ورد في هذه اللوحة اسم عبد الله صفر وأنه مملوك للسلطان الكبير المعظم الذي عرف بجهاده في سبيل الله خير الدين بربروس. وقد شرع في بناء هذا الجامع في رجب بين ١١ جانفي و١٣ فيفري ١٥٣٤م، وتم بناؤه في ١٤ ربيع الأول سنة ٩٤١هـ الموافق لـ ١١ سبتمر ١٥٣٤م.
تم صنع الزخرفة الداخلية لمسجد سفير من الزليج (بلاط فسيفسائى) الذي جيء به من الورشات التونسية، وهو نفس الزليج الموجود في أغلبية القصور العثمانية التي كانت توجد في القصبة السفلى.

- **ترميم المسجد:**

وقد أقام «الداي حسين» بالأشراف على إعادة ترميمه (عام ١٨٢٦ م)، وأورد الشيخ «عبد الرحمن الجيلاليُّ» بأنه قد تم إعادة تجديده بعهد بابا حسن باشا (عام ١١٨٥ ه/ ١٧٧١ م) ، بالإضافة لترميمه في المرة الثالثة (عام ١٢٤٢ ه/ ١٨٢٧ م) بفترة حكم «حسين داي» فقد أورد تجديد أبنية الجامع وترميمه الحاج «أحمد شريف الزّهّار» بمطويته الخاصة أثناء حديثه عن إنجازات «حسين باشا»، فقال: أنه قد شيد «طبانة»، وبرج «باب البحر» في «الصنانجية»، كما شيد «مسجد سفير»، والواضح بأنه قد أعاد بناءه، وجدده وليس أنه أول من بناه، وقد عُثر على لوحة من الرخام مكتوب عليها تاريخ إعادة تجديده من طرف «حسين باشا» (عام ١٢٤٢ ه/ ١٨٢٧ م)، (فتحية فرحى ، ٢٠١٧م ، ص٥١) .

صورة رقم (٥) وتوضح جامع سفير الواقع داخل الحارات الضيقة لقصبة «الجزائر»، مصدر الصورة الباحث.

صورة رقم (٦) وتوضح اللوحة التي تؤرخ لأعمال الترميم التي تمت في (عام ١٩٩٨م)
لمسجد سفير الواقع داخل الحارات الضيقة لقصبة «الجزائر» ، مصدر الصورة الباحث.

٢- مسجد علي بتشين:

مسجد «علي بتشين»، الموجود على حدود «القصبة»، وهو قريب من «ساحة الشّهداء»، ويعد من أروع جوامع «الجزائر» العاصمة، فمن الجانب الإنشائي يعد المسجد المميز عن غيره؛ حيث أقيم في أعلاه مجموعة من المشاريع المخصصة للتجارة _وهي مستمرة إلى وقتنا الحالي_، الجامع محدود في الحجم، ويعتقد أن من أنشأه كان يقصد إخراجه بهذا الشكل ليُماثل النظم المعماريِّة بقصبة «الجزائر»، وقد قُلب الجامع لكنيسة بوقت «الغزو الفرنسيِّ»، وقد سُميَّ بـ «نوتر دام دو لا فيكتوار»، من أجل عودته طبيعته السابقة بعد الاستقلال، ويكتنز مسجد «علي بتشين»_ والذي أُسس(سنة ١٦٢٢م)_ على حكاية طويلة، وهي قصة «بيتشينيو»، أو «بيتشينيني» بروايات مختلفة، ذلك البحّار الإيطاليُّ والذي كان رهينة لدى القوات البحرية العثمانيّة، حكاية مسلسلة صَنعت من البحّار الرهين وأحد من عظماء الشخصيات السياسية بالجزائر» في هذه الآونة، وقد أسلم «بتشينيو» ، وتسمى باسم «علي بتشين»، وقد تزوّج من الأميرة «لالاهم»_ بنت السّلطان «أحمد بلقاضي»_ وقد تطوع «علي بتشين» بالنفقة في بناء المسجد لتوطيد علاقات الود بالجزائر، وأهلها. (فضيلة بن عامر ، ٢٠١٩م، ص٤٨).

- **وصف المسجد:**

المعلم الأثري العريق المتمثل في مسجد علي بتشين له قاعة صلاة تستقبل نحو ٥٠٠ مصل ويحتوي قبو مسجد علي بتشين على محلات خاصة بالحرف التقليدية ،خاصة بالفضة والنحاس والفخار وغيرها من الصناعات التقليدية الجزائرية المعروفة في القصبة. ويعتبر هذا المسجد نموذجا للمساجد المعلقة التي يخصص طابقها السفلي للدكاكين والنشاطات الأخرى في حين يخصص طابقها الأول للصلاة.

تتصف قاعة الصّلاة، بالارتفاع بمقدار (٥ أمتار) أعلى من مستوى شارع «مدخل الوادي» المُشرف على «الساحة الحمراء» والتي تغير اسمها بعد ذلك باسم «ساحة الشهداء» ومن المستطاع الدخول لهذه القاعة من شارع «مدخل الوادي» بالشمال، أو شرقًا من شارع «محمد صويلح»، ويوجد بالسقف في القاعة قبّةٌ ضخمة على هيئة ثمانية أضلاع، تحاط بمقدار (٢٠ قبة) أصغر في الحجم لها ثُمانية أضلاع أيضًا، لكن شكل المنارة ، فظل متألق لحقبة زمنية بطابع «مغربيٍّ» جذاب، وقد كانت على شّكل مربّع ، وتتضمن على نقطة محورية تشمل: أربعة أجنحة مخصصة بالسّلالم التي تحيط بالجامع، حيث وصل عمق أساس «المنارة» إلى ثمانية أمتار، إلى أن تمّ إزالة جزء مهم من الدور الأعلى منها (سنة ١٨٦٠م)، وبلغ ارتفاعها من(١٥ إلى ١٢ مترًا فقط). (سيد أحمد باغلي، ١٩٨٢، ص٥٨) .

يعتبر هذا الجامع فريد من نوعه بالقصبة الذي شيد فوقه مجمع تجاري، وعرف بأنه من المباني الفنية، والمميزة بنظام هندسي رائع، وجذاب؛ حيث بلغت ارتفاع قاعة الصلاة عن مستوى سطح الأرض بمقدار(٥ إلى ٦ أمتار)؛ لتعطي فرصة بمزاولة أنشطة تجاريِّة أدناها بعدد من الأماكن المخصصة لذلك، ويوجد بها حمام مشهور دام وجوده إلى مدة النواة الأولى للغزو على الأقل، ويظن _الباحث الإسرائيليُ_ «تول شوفال» (Tal Shuval) قائلًا: أنه تم بناءه على غرار سجن، أو أحد القصور القديمة، وعلى الرغم من أن هذا المسجد يظهر بمظهر بسيط للناظر له؛ فيظل من أعرق المباني ذات الطابع الهندسي المتألق عبر

الأزمان، وبسبب ما حدث له من تفاعلات جوية أثرت به خلال الفترات الزمنية. (فوزي سعد الله ، ٢٠٠٧ م ، ص٥٥).

- **ترميم المسجد:**

وبمضي السنوات، وتحت وضع المؤثرات المتعددة، فقد حدث بجامع «بتشين» تلفيات بجمع أجزائه الداخلية، والخارجية، ووقوع بعض الزخارف الجميلة التي كانت تميزه، مما دفع المسؤولين بالجزائر بأخذ قرار حاسم بإعادة ترميمه، وتجديده، فقد تم الانتهاء من دراسة ترميمه في (عام ٢٠٠١ م)، وبدأ العمل ميدانيًّا بشهر (مايو عام ٢٠٠٢م)، وتم إزالة الدهانات القديمة من الوجهة الخارجيّة، ومن الجدران بالداخل، ومن خلال التقشير؛ ظهر الوضع السيء الذي قد وصل له الجامع، ثم ينتقل للخطوة التالية، وهي بدء إجراءات الترميم الكبيرة التي استوجبت غلق مداخل الجامع، وعدم الصلاة فيه ما يقرب(خمس سنوات من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠١٠م)، وكان الترميم شامل لجميع أجزاء المسجد، والحمامات، والمكان المخصص للوضوء، وإجراء عملية تبليط جديدة، تجديدًا له بسبب ما وصل له من تلف، وقد شملت عملية الترميم المداخل بالأبواب بجانب توخي الحذر في التعامل معها للمحافظة على القيمة الفنية، والهندسية بها، وكما وسعت الترميمات مئذنة المسجد، والتي صمت على مدار السنوات أمام التأثيرات التي تعرض لها الجامع بمشتملاته، فقد جاء الترميم في(عام ٢٠٠٥م) بعد عمليات مهمة لتشمل كل الأشياء التالفة بالجامع، بجانب إعادة ترميم أجزاء الفضاءات، والعناصر الفنية، والهندسية، وتضمنت أعمال الصيانة إعادة تجديد قاعة الصلاة والتي تتسع لعدد كبير يتعدى ٥٠٠ فرد، وضم التجديد إعادة تصميم مكان الوضوء (المنابع، والآبار) تبعًا لنظام الجامع الذي شُيّد في (عام ١٦٢٢م) من ناحية «بيغلين» الإيطاليِّ والتي ترجع جذوره إلى مدينة «بيتشيني» بالقرب من «البندقية» بالدولة الإيطالية، وقد أشهر إسلامه وتسمى باسم «علي بتشين»؛ اشتقاقًا من اسم الجامع (جزايرس ، ٢٠١٦ م ، مقالة منشورة).

صورة رقم (٧) وتوضح مسجد على بتشين الواقع بالقرب من ساحة الشهداء ، مصدر الصورة الباحث .

٣- جامع كتشاوة:

وأنشأ هذا الجامع بالفترة «العثمانيّةِ» (عام ١٠٢١ هـ/ ١٦١٢ م)، بأمر من الوالي «الجزائري»_ بعهده_ «خير الدين بربروس»، وكان يمثل كبار رؤساء المنظمات العسكرية العثمانية آنذاك، وقد شيد في منطقة «القصبة ب»الجزائر» المشهورة باسم «المدينة القديمة»، فكان أثر الخطاط «إبراهيم جاكرهي» ظاهرة، وجلية بين النقوش، والزخارف أثناء كتابة للآيات القرآنية خلال بناء الجامع بالعهد «العثمانيِّ»، ولفظة «كتشاوة» أصلها يرجع لأصول تركيّة ويُقصد بها: «العنزة»، وأطلق عليه «كتشاوة»؛ لوجود السوق بجانبه وكان يُقام بالساحة القريبة، وخلال «الغزو الفرنسيِّ» للجزائر قُلب الجامع لكنيسة، وتم إزالة الجامع بعهد «الجنرال الدوق دو روفيجو» في (عام ١٨٣٢م)، وبنيَّ عليها كاتدرائية سميت باسم «سانت فيليب»، وقد تمت أول صلاة بها بليلة عيد الميلاد يوم (٢٤ من ديسمبر عام ١٨٣٢ م). (مليكة برواق ، ٢٠١٧م ، مقالة منشورة).

وبعد حصول الاستقلال للجزائر، والقضاء على الغزو «الفرنسيِّ» (سنة ١٩٦٢م)، رجع الجامع مرة ثانية، وقُلبت الكنيسة لجامع، وقد أذن لصلاة الجمعة بمسجد «كتشاوة» وكانت أول صلاة من بعد مرور أكثر من مائة سنة ويزيد من قَلب الغزاة الفرنسيِّن الجامع لكنيسة، وقد خطب الشيخ «الجزائريّ» _الشهير_ «البشير الإبراهيمي» ويعد هذا الجامع عبارة عن المنصة القوية التي تبث للجميع كافة المعلومات بصورة مبسطة_ ولا سيما الدينية فقط_ واعتاد زواره قراءة جزء من «القرآن الكريم» قبل أداء جميع الصلوات الخمس بشكل جماعي يوميًا، وتتولى إدارة الجامع أثناء شهر «رمضان» إعداد درس في كل يوم جمعة ميعاده عقب صلاة العصر، ويقوم بحضوره مشاهير المشايخ، العلماء، والأجلاء، وكذلك يواظب الجامع على تنسيق أوقات مناسبة لتحفيظ القرآن للأطفال، وكبار السن، وحتى النساء (محمد حاج ،٢٠١٥م،ص٦٤).

- **وصف المسجد**

الوصف الخارجي : جامع كتشاوة مربع الشكل ومحاطا بعدد كبير من الأسوار الرخامية الدائرية الضخمة وكان مدخله الرئيسي في شارع الديوان عكس ما هو عليه اليوم، حيث تزينه باب ضحمة خشبية صنعها اكبر فناني حرفة النجارة العاصمية آنذاك وامين نقابة النجارين المعلم البلاطشي (احمد بن البلاطي) . وزين الداي حسن الشارع المقابل للباب الرئيسية للجامع بحديقة جميلة ونافورة مياه من طراز تلك التي تزين وسط ديار وقصور القصبة ،لكن لا الباب بقيت ولا الحديقة ولا النافورة صمدت أمام همجية الجرارات الفرنسية لذلك لم يبقى من كتشاوة الاصل الذي بناه حسن باشا سوى بضعة سواري رخامية وباب النجار البلاطشي ،وهذا الباب موجود حاليا في المتحف الوطني للآثار لمن يرغب في رؤيته . (أبو القاسم سعد الله ، ١٩٩٨م ، ص٢٨) .

جامع كتشاوة ذو مدخلين أحدهما أمامي مفتوح على ساحة جنب قصر الشتا الذي يؤوي اليوم مركز الشؤون الثقافية لوزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية أما ثاني المدخلين فهو خلفي من جانب نهج الديوان وكانت توجد هناك ساحة صغيرة شكلها مربع منحرف تقوم من إحدى زواياها منارة الجامع أوسمي مسجدا النسا لأن في داخله أروقة كبيرة تشرف على الردهة خصصت للنساء المصليات وتسمى

تلك الأروقة في الجزائر (السدة) وهي تحيط بالردهة كلها وتبلغ ٦٥ مترا في الطول و ٣٠ في العرض .

ب- الوصف الداخلي : حجرة الصلاة: التي يوجد قسم منها في الحجرات المقوسة يبلغ طولها ٢٤ مترا وعرضها ٢٤ مترا وهي تشمل ساحة مركزية مربعة طول ضلعها ١١ م مغطاة بقبة مثمنة الأضلاع وأروقة تساير الواجهات الأربعة في الجهة المقابلة لجدار القبلة أي رواقين وفي الزاوية الجنوبية للمسجد ترتفع المنارة المربعة ، غير أن الاحتلال الفرنسي قد غير كل هذه المعطيات ،إذ أن الديانة المسيحية كانت العماد الإيديولوجي للاحتلال. وتقوم بيت الصلاة على ستة عشر عمودا ويوجد منها ستة محفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة .(أمير يوسف،٢٠١٢م ، مجلة منشورة) .

القبة :

وتقوم القبة الكبيرة في وسط بيت الصلاة على أربعة دعائم ضخمة تبتعد كل منها عن الأخرى ٥أ١١ مترا وهذه الدعائم تحمل عقودا مستديرة ترتفع فوقها قبة ذات ستة اضلاع. وقد سمح اتجاه هذه العقود المختلف لحمل القبة المركزية للمسجد والتي كان يبلغ قطرها ١٢ مترا وهي بذلك تختلف عن الطراز المعروف في مباني الجزائر إبان العهد العثماني والمتمثل في مل المثلثات الركنية بشكل مائل بل عمد البنا الى بنا تلك المثلثات بخط شاقولي (رأسي) ، زخرفت أيضا جدرانهما بنفس الخطوط المشعة ،وملئت الفراغات المتمثلة بين العقود بزخرفة الرقش العربي (الأرابيسك) ومن هنا كان شكل تلك العقود شكلا مستديرا تماما عليه تقوم القبة المركزية للمسجد . (بوزينة سعيد ، ٢٠١٣م ، ص١٢٣) .

المحراب :

دخل المحراب *عمارة المساجد ، وارتبط بها ارتباطا وثيقا الى درجة أننا لا نعثر على مسجد بدون محراب خاصة وهو العنصر الدال على اتجاه القبلة إضافة الى تجويفه الذي يساهم في التقليل من المساحة التي يأخذها الإمام أثناء الصلاة كما أنه مضخم لصوت الإمام أثناء قراءتّه في الصلاة ،كما أخذ هذا العنصر المعماري سمة الشرف والسمو والرفعة ،وتنوعت مادة بنائها حيث بنيت من الحجارة تارة ومن الجص والخزف الفسيفساء والخشب تارات اخرى. وظهر في العصر العثماني أسلوب عمل المحاريب المجوفة من صفوف المقرصنات أصبح هذا الأسلوب هو السائد في عمائر هذا العصر كما هو جامع كتشاوة .(سعيد محمد حاج ، ٢٠١٥ م ، ص٧٤) .

المنبر:

فالمنبر هو منصة من حجر أو خشب، تتسع لوقوف وجلوس الخطيب، وتقع قرب المحراب، تعلوها قبة صغيرة أو جوسق، ويصعد إلى المنبر بدرج له درابزين على جانبيه وباب بمصراعين في الأسفل، تعلوه شرفات تحملها صفوف من المقرصنات ويتعامد مسقط الدرج مع جدار القبلة.

المئذنة :

تمثل المآذن العثمانية تطورا للمآذن السلجوقية في آسيا الصغرى حيث حرص المعماريون الأوائل في ذلك العهد على جعل المئذنة أسطوانية متوسطة الارتفاع تتكون من بدن يمتد حتى الشرفة الأولى ثم يرتفع البنا مرة اخرى دون سلم خارجي حت تصل المئذنة إلى الارتفاع الذي راه المعماري مناسبا ثم ينهيها بمخروط ، وأغلب مآذن السلاجقة ذات بدن مستدير منها ما هو مضلع ذو ستة أو ثمانية اضلاع تحت مظلة ، وقد

تفنن المعماري في عملية التضليع وغالبا ما يكون لها شرفة واحدة تقع بنهايتها.
وأما عن المكونات العامة للمآذن العثمانية والتي أستلهم العثمانيون شكلها عن المآذن السلجوقية ونشروها في كافة البلاد التي فتحوها فقد تطورت هذه المكونات بشكل ملحوظ حيث تميزت المآذن العثمانية بالارتفاع الشديد ودقة النسب ولقد اصبحت المآذن العثمانية منذ ظهورها في منتصف القرن ٩ ه/ ١٥ م من أهم معالم الحضارة العثمانية حت غدت تقليدا تتميز به وينبغي الالتزام به. أما المئذنة التي لم يعد لها الآن أثر فقد كانت من الطراز المغربي أي على شكل مربع .(عقاب محمد الطيب ،١٩٨٨م ، ص٧٥) .

الدراسة الفنية والجمالية:

نعنى في هذه الناحية بدراسة الجانب الفني والجمالي وكيفية استغلال العناصر الزخرفية منها الكتابية والهندسية والنباتية للمسجد .

أ- العناصر النباتية :

تقوم الزخرفة النباتية او ما يسمى فن التوريق على زخارف مشكلة من اوراق النباتات المختلفة والزهور المتنوعة ، وفي كثير من الأحيان تكون الوحدة في هذه الزخرفة مؤلفة من مجموعة من العناصر النباتية متداخلة ومتشابكة ومتناظرة. تتكرر بصورة منتظمة . وإذا ما حاولنا أن نصف الزخرفة النباتية فإنها إقتصرت على الزخرفة الرقشية المحورة عن الرقش العربي الأصلية إلى الرقش المتطور على يد الفنانين الشرقيين خاصة في الشرق الادنى والذي له تأثيرات من الطراز الاوروبي الحديث هذا ويمكن أن نضيف بأن الزخرفة النباتية التي كانت على المربعات الخزفية المزدانة بأزهار القرنفل في معظمها ،وأوراق الخرشوف البري . (حمادي حميد،٢٠١٤م ، ص٣٣) .

ب- العناصر الهندسية :

اعتمدت الزخارف الهندسية على المربع و المثلث والدائرة لكي تكون الأساس الذي تقوم عليه جميع الزخارف الهندسية واشتهرت النجمة الاسلامية المتعددة الأضلاع والمتفرغة. وما نتج حولها من وحدات وتقسيمات مختلفة في المساحة، وكذلك يعتمد في الأصل على خطوط هندسية بسيطة ،يتضح منها إلمام الفنان المسلم بعلم الهندسة لأن الزخارف الهندسية تعتمد على قياسات دقيقة للأطوال والزوايا في الأشكال الهندسية المختلفة . (غالب عبد الرحيم ، ١٩٨٨م ،ص٤٢) .

ت- العناصر الكتابية :

فيما يخص الزخرفة الكتابية فإنها توزعت في أماكن كثيرة من المسجد ،فوق جبهة المحراب وجدران المسجد المختلفة ،وعلى أبدان الشمسيات والقمريات المخرمة ، وقد جمع كولان مجموعة لابأس بها من الآيات القرآنية ، وجمل التمني والتهليل والترحيب والتبريك . تراوحت خطوطها بين التجويد الأنيق للكتابة وبين الاعوجاج ،غير انه يغلب علي الزخرفة الكتابية نمط الثلث ،والتي مازال البعض منها في متحف الأثار القديمة بحديقة الحرية .

ومن الآيات القرآنية التي كتبت في المسجد فكان منها ما يلي: سَلامٌ عَلَيْكُمْ بما صَبَرْتُمْ فَنعْمَ عُقْبَى الدَّار ،الاية ٢٤ سورة الرعد . كلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمحْرَابَ وَجَدَ عنْدَهَا رزْقا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنىَّ لَك هُذَا قَالَتْ هُوَ منْ عنْ عند الله إنَّ اللهَّ يَرزُقُ مَنْ يَشَاء بغير حسَابٍ ، الاية ٣٧ سورة ال عمران . هاتان الآيتان

حفرتا فوق جبهة عقد المحراب وهناك مجموعة اخرى من الآيات القرآنية ،منها على الخصوص الآيتان الأولى والثانية من سورة الفتح .وجمل الترجي وطلب الخبير والتهليل .

- **ترميم مسجد كتشاوة:**

قام قطاع التنسيق، والتعاون التركيّ (تيكا)، بمهام صيانة جامع «كتشاوة» بالجزائر»، وقد أغلق مداخله فترة زمنية للمصلين (سنة ٢٠٠٧م)؛ وكان ذلك عقب وقوع كارثة الزلزال الذي هز المنطقة بأكملها، وتابعت تركيّا مهام الصيانة بعام ٢٠١٣م، بعد مجيء القائد التركيّ «رجب طيب أردوغان»، للجزائر. وتابعت الوكالة التعاونية والتنسيق، الخاضعة تحت رئاسة الوزراء التركيّة، بمتابعة عملية الترميم بالجامع، بمجموعة مخصصة، وفريق أكاديمي، وعمال بارعون بمجال فنون النقش، والتخطيط، وتولى مهام الكتابة، والرسم ، الكاتب، والخطاط التركيّ المعروف «حسين قوطلو»، الحاصل على (جائزة الرئاسة التركيّة للثقافة والفن)؛ تكريمًا لمواهبه المستخدمة لصالح العلم، والدين عام ٢٠١٦.

- **جامع كتشاوة بعد الترميم**

وقمت بعمل مقابلة مع « بن حوحو السعدى» _ مرشد سياحي متخصص في «القصبة»_ حول عملية التأهيل والترميم لمسجد «كتشاوة» _ ذكر موضوع إغلاق مسجد كتشاوة عام (٢٠١٣ميلادي) ؛ نظرا لظهور ميل بمسافة ٣٠ سنتيمترا في صومعته، ومؤسسة تيكا التركية أعلنت_ عام (٢٠١٣ م) _عزمها على القيام بعملية الترميم بالتعاون مع مؤسسات «جزائرية» وعلماء آثار، أشار» بن حوحو» إلى أن هذه التجربة مكنت الجزائريين من الاستفادة. من تجربة «تركيا» في مجال ترميم المساجد، مضيفًا أن عملية الترميم شملت: المآذن ، القبة المركزية للواجهة الرئيسية ، بالإضافة إلى التعزيز الداخلي للجزء الفارغ من المدرج ، وكذلك تدعيم الواجهة وقد تم تجهيز مسجد «كتشاوة» بالمصعد الكهربائي لذوي الاحتياجات الخاصة. أشرف الخطاط التركي «حسين قوطلو» _ الذي فاز بالرئاسة التركية للثقافة والفنون (عام ٢٠١٦ م)_ على الكتابة والرسم في مسجد كتشاوة ، وأعيد افتتاح مسجد كتشاوة (يوم الاثنين ٢٦ فيفري ٢٠١٨ م)، بحضور الرئيس التركي / رجب طيب أردوغان. أصبح مسجد « كتشاوة « اليوم من أهم المعالم السياحية التي يعود تاريخها إلى العصر «العثماني»، ومتحفًا مفتوحًا ووجهةً للسياح والزوار والمسافرين. وللاقتراب من هذا المبنى التاريخي _الواقع في البلدة القديمة بقصبة «الجزائر».

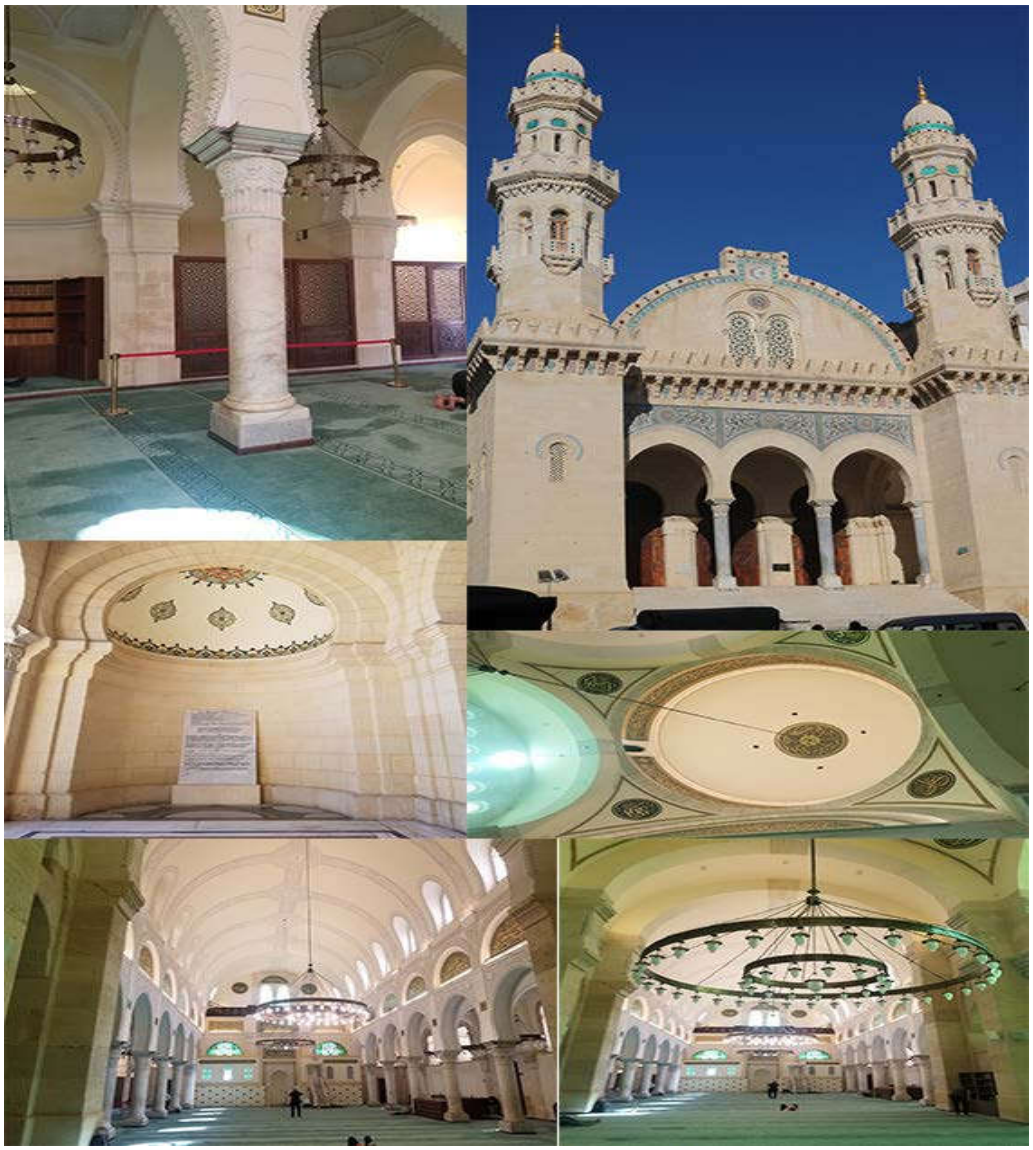

صورة رقم (٨) وتوضح جامع كتشاوة الواقع داخل قصبة «الجزائر» حيث تظهر واجهة الجامع ذات المئذنتين كما يظهر الجامع من الداخل بعد الانتهاء من أعمال الترميم ، مصدر الصورة الباحث .

٤- الجامع البراني :

ويقع الجامع قبل سور قلعة «القصبة»، وقد تم بناءه خلال الحكم العثمانيّ في (عام ١٦٥٣م) رجاء وصول المصلين الأجانب من بلاد عديدة لإقامة العبادة به، وترجع اسم مسجد البرانيّ مصطلح عرف للتميز بين مسجد «القصبة» الخارجيّ البرانيّ، ومسجد «القصبة» الداخلي، بمعنى الحصن المنيع القلعة، أو «القصبة»، وبالأغلب نرى الفرق البرانية وهي التي كانت تواظب على الصلاة بالمسجد؛ لكونها لم تتمكن من الدخول للصلاة بداخل جامع القلعة لدواعي عسكرية (بوزينة سعيد ، ٢٠١٣م ، ص١٩).

- **وصف الجامع :**

يتصف المسجد من ظاهره على :هيئة شكل هندسي رائع، مكون من مستطيل يشمل أربعة واجهات، فمن ناحية الواجهة الغربيّة وتمثل الجهة الرئيسة، وتشمل المدخل الأساسي للجامع الموصل بقاعة الصلاة، لكن الواجهة الجنوبيّة فيوجد بها باب ثانوي، أما الواجهة الشرقية محاطة بإنشاءات جديدة، كما يوجد» المئذنة» التي تأخذ نظام الشكل ذات الثماني أضلاع، ومكان الصلاة، فنرى به(١٢ عمود)، أما السقف بمكان الصلاة فهو بشكل مسطح، ويتكون من قطع خشب بهيئة دائرية.

ويذكر أن ذلك الجامع قد أنشأه» الداي حسين»، وقد تبين ذلك من خلال المطولات الرخامية التي عثر عليها وقد ذكرت اسم «الداي حسين» مطلقًا، بل اعترض فريق من الباحثين بقولهم: أن الجامع قد تم بناءه منذ فترة بعيدة عن عهد «الداي حسين»، فيرون أنه قد قام بتحديثه لا غير، وقد كان عند تأسيسه في (عام ١٦٥٣م) جامع صغير الحجم، وجذاب بجوار مقدمة باب «القصبة» الحديث (فتحية فرحى ، ٢٠١٧م ، ص٤٢)

فقد أظهرت المخطوطات، وحجج التمليك، بيان هندسي يوضح الجامع، والذي يصف هيئة الجامع ومعالمه عند قضاء بناء منطقة القصب، وقد اتسعت رقعة الجامع عقب انتقال الحكم السياسي «العثمانيّ» في (عام ١٨١٨م) للقصبة ليكون مركزًا لمحكمة «الآغا» (الصرخة « الجزائرية»، ٢٠١٦م ، مقالة منشورة).

كما تم تحديث الجامع من جهة أخرى من «دايات الجزائر» وهو «الداي حسين»، فقد عُثر على لوح تذكارية تذكر وقت تحديث، وإضافة أماكن جديدة للجامع من جهة هذا «الداي».

وقد اختير جامع «برانيّ» رمزًا ثقافيًّا ذا حماية (عام ١٨٨٧م) من جهة إدارة الاستعمار الفرنسيّ بالجزائر»، وبين أن ذلك من الحضارة الدينية، والتاريخيّة بشهر(مارس عام ١٨٨٧م). («الجزائر» العاصمة مساجد العاصمة، ٢٠١٨م، مقالة منشورة).

- **ترميم المسجد:**

بدأت إجراءات ترميم السقف لجامع «برانيّ» في (عام ٢٠١٦م) لصيانته عقب سقوط جزء من السقف برعاية ديوان تسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمي، فقد وقع هذا السقوط؛ لأن الأعمدة قد تهالكت وغزت مياه الأمطار السقف فأهلكته.

فيعد الجامع الذي بلغ عمره ما يقارب (٣٦٠ عام) فقد وصلت جذوره، وحوائطه، وجميع جوانب سقفه للتلف، والانهيار؛ بسبب الظروف الطبيعية للمناخ، وما تعرض له من فعل بشري، وظل المسجد مغلق

فترة عن المصلين وحتى انتهاء أعمال الصيانة، وباعتباره مصنف كأثر وطنيّ مماثل للقلعة الأثرية داخل حدود المنطقة المحفوظة بقصبة «الجزائر» العاصمة.

ولكن لم يتم صيانة جامع «برانيّ «من قبل ـمن أي نوع من أنواع مهام الصيانة، والعناية_ من جهة القطاعات الخاصة بذلك.

وحرصت أعمال الترميم على توخي الحذر، وعدم مزج مادة «الإسمنت» بمواد البناء التالفة، وقد استخدمت في بناء جامع «برانيّ»، ـوبصفة خاصة منهاـ قوالب الطوب الدائبة؛ لتتوخى المزيد من التلف بجدرانه عقب سقوط جزء من السقف.

صورة رقم (٩) وتوضح واجهة مسجد «البراني» داخل قصبة «الجزائر» بعد الانتهاء من أعمال الترميم ، مصدر الصورة الباحث

٥- مسجد «سيدي رمضان»:

يعتبر جامع «سيدي رمضان» الموجود مركزه في «القصبة» الشمالية يعد من أقدم جوامع «الجزائر»؛ حيث يرجع تاريخه إلى القرن العاشر من الميلاد، فقد أنشأ في عهد حكام» بني مزغنة».

ويتوسط جامع «سيدي رمضان» بحيّ «القصبة» العريقة، وبالتحديد بالقصبة الشمالية، فهو جامع مميز؛ من حيث الموقع الاستراتيجي وثبات تاريخه بأرض «الجزائر» العتيقة، وهو موجود بالمنطقة التي أنشئت بها «القصبة» القديمة والتي وضع أساسها «الأمازيغ» وذلك كان قبل وصول «العثمانيّين»، وهذا بالاعتماد على ما جاء بكتاب (مساجد مدينة «الجزائر) لكاتبه الدكتور «بن حموش»، وعقب الوصول «العثمانيّ» فقد اتسعت «القصبة» العريقة إلى أعالي العاصمة بنفس النظام الهندسي المعماريِّ بالمدينة العتيقة، وقد وضح أنها أنشأت بمرحلة واحدة، وقد تم تصميمها خبير هندسي واحد فقط، كما أطلق على هذا الجامع أثناء هذا التاريخ اعتمادًا على ذات المصدر اسم جامع «القصبة» القديمة (فضيلة بن عامر ، ٢٠١٩م، ص٤٥) .

- **تاريخ إنشاء مسجد سيدى رمضان :**

مطابق لما ورد ببعض الحجج التاريخيّة أنه يرجع تاريخ تأسيس جامع «سيدي رمضان» يرجع إلى القرن العاشر، والحادي عشر من الميلاد، وقد صدقَ عليه العلامة «عبد الرحمن الجيلاليّ»، وكان خطيبًا، وإمام بالجامع عام ١٩٤٥م .

وترجع جذور تسمية هذه المنصة الدينيّة اسم «سيدي رمضان» ولم يتفق الباحثون من حولها، فمن ناحية يقول الباحث «بن مدور»: أن اسم الجامع يشتق من اسم أحد جنود فريق الجيش الإسلاميِّ والذي جاء لشمال إفريقيا داخل حملة الفتوحات الإسلامية والتي رأسها الفاتح الإسلاميُّ «عقبة بن نافع»، وقد بقي هذا المجند بعد هذا في «الجزائر»، وعقب وفاته دفن بجوار ركن من أركان هذا الجامع، واشتق هذا الصرح الدينيّ تسميته المعاصرة، فقد بين كل من «يوسف بن تفاث»، و«مراد أوجغوت» أن جذور «سيدي رمضان» ترجع لولي تقي ترجع جذوره إلى إحدى عروش مدينة «الزيبان» ببسكرة، قائمين الحجة برواة أتوا من الولاية المذكورة -بسكرة- إلى هذا الجامع الذين أصروا أن هذا الرجل التقي ينتسب حضاريا إلى مكان «بسكرة» (أبو القاسم سعد الله،١٩٨١م ، ص٥٤) .

وصف المسجد:

وبخصوص الفن الهندسي المعماري التي أشتهر به هذا الصرح الدينيّ يقول ابن حموش: إن مسجد «سيدي رمضان» يتحد مع جامع «القشاش» و«وبن نيقرو» و «الجامع الكبير» بالعاصمة؛ بسقفه «القرميدي» صاحب اللون الأحمر التي تتجزأ إلى تسعة مسطحات واضحة الجوانب مصممة بجهة عرض الجامع، وأما قاعة الصلاة المخصصة للجامع شبيهه بالمستطيل ويبلغ طولها (٣٢ مترًا مربعًا تقريبًا)، وبلغ عرضها(١٢ مترًا مربعًا تقريبًا)، متجه شمال جنوب، لكنه لم يكن مستقيم في آخر جانبه الجنوبيّ اتجاه الغرب بشكل زاوية منفرجة، ويشمل السقف ثمانية عشر عمودًا من النوع الحجري، وتبتعد عن بعضها البعض بمقدار ثلاثة أمتار، والسقف مشدود، والجامع له أربعة أعمدة بسيطة الشكل وطبيعية، وتنتهي بنقوش هندسية رائعة اتجاه الأعلى، وقد تم تقسيم سقف الجامع إلى ثلاثة أروقة بشكل طولي، وتسعةٌ بهيئة عرضية تتلاءم بمسطحات السقوف «القرميدية»، وتتناسب «المأذنة» وهي ذات شكل مربع، فهي تشبه _بنسبة عالية_ مئذنة المسجد الكبير بالجزائر» العاصمة الذي قد بناه «المرابطون» (عام ١٠٩٧ للميلاد)، وشكله على درجة من البساطة؛ فهي لا تميل للطول، وترتكز بقاعدة شكلها مربع وبلغ طولها بمقدار(١٢ مترًا تقريبًا)، وتتصف بالضيق وتحتوي على وجود سلم يتجه للأعلى، مكون من(٤٥ درجة) ذات ارتفاع، و(٥ درجات منخفضة الشكل جدًّا)، ولها محرابين، فالأول وقد تم تصميمه مع بناء المسجد بأول مرة، ومع اتساع الجامع استجد محراب ثانٍ متوسط الجامع، أما المحراب الأول فلم يكن ظاهر بُناءً على ما قد قاله: «بن تافاث»، و «أجغوت» غير بعد إجراءات الصيانة التي قامت بها وزارة الثقافة، كما تجاور الجامع مقبرة مدفون بها الأعيان بمدينة «الجزائر» من بني مزغني (عبد الرحمن الجيلالى ،٢٠٠٧م ، ص٩٩) .

فلم يكن هذا الجامع بوقتنا الحاضر يسير على اهتماماته السابقة، فكان مميز بالحركة الفكرية النشطة جدًا، فقد تلاشت مظاهره الدينيّة _المشهور بها في سنواته السابقة_ خصوصًا بشهر رمضان المبارك، وحددت

نشاطاته حاليًا فلم يعد يقام به أي شيء سوى الصلاة فقط، وإلقاء بعض الدروس الفقهية والتي يلقيها الإمام، والخطيب علاوة على عمل حلقات؛ بغرض تحفيظ القرآن الكريم، وقد أخرج الجامع أعداد هائلة من كبار العلماء وكان منهم «محمد زكري أبو يعلى الزواوي، وأبو حمص» .

- **أعمال الترميم:**

وفقا لخلية القصبة المسئولة عن أعمال الترميم فقد دخل تحت التراث الوطنيّ بـ (٢٦ فبراير ١٩٠٤م)، بداية إجراءات الصيانة بجامع «سيدي رمضان» بـ (عام ٢٠٠١م)برعاية وزارة الثقافة، وظهر محراب آخر بجامع «سيدي رمضان» خلال أعمال الصيانة والتي تبعت هذه المنصة الدينية، وانقضت أعمال الصيانة بجامع «سيدي رمضان» في (عام ٢٠١٠م) حيث استقرت الأمور وأعاد تشغيله، فقد تولى أهل المكان أداء الأذان بالقصبة العليا؛ مقيمين للصلاة، خلال فترة الصيانة والتي استمرت تسعة سنوات، بأرض مجاورة للجامع، وأصبح هذا المسجد عندما أعيد تشغيله باحتواء عدد كبير من المصلين فيما يزيد عن(ألف مُصلي) عقب انتهاء مهام الصيانة بداخل المسجد. وقد تم تتابع أعمال الصيانة الخارجيّة الباقية للجامع القديم، وهو الذي قد بُني بالقرن الحادي عشر بنفس العام بُني فيه الجامع الكبير بأسفل «القصبة» (جزايرس، ٢٠١٦م ، مقالة منشورة).

صورة رقم (١٠) وتوضح مسجد سيدى رمضان الموجود مركزه في «القصبة» الشمالية ، مصدر الصوة الباحث .

خامساً: قصور مدينة «القصبة»

١- قصر مصطفى باشا:

- **تاريخ القصر**

يعتبر «مصطفى باشا» والي «الجزائر» من (عام ١٧٩٨ إلى عام ١٨٠٥ م)، أو بلقب «الدَّاي»، والذي عقب أخو والدته «الدَّاي حسن»، فأصدر قرار ببناء قصر يجمع بين أصالة الفن، وبين جمال الهندسة الإنشائية، وكان له الحق بذلك. (عبد الرحمان الجيلالي،٢٠٠٧م ، ص٢٤٨) .

«فقصر مصطفى باشا» والذي قد شيد (سنة ١٧٧٩م)، كان مقر الأسرة للدَّاي وعائلته، والعاملين بالقصر، وكما كان مركز للتجمع عند زيارة أصدقاء الدَّاي المفضلين، ومنهم _ابن ملك «فرنسا»_ «دوق أورليانز» .وبدخول الاحتلال الفرنسيِّ على «الجزائر» (سنة ١٨٣٠م)، جعلته إدارة الغزو «مكتبة وطنية» (عام ١٨٦٣ م)، وقد شملت عدد هائل من المخطوطات تجاوز عددها(٢٠٠٠ مخطوطة) جعلها المحتل من المكتبات الأسرية بمدينة «قسنطينة» عقب غزوها (عام ١٨٣٧م)، لكن «الدَّاي مصطفى باشا» اغتيل (سنة ١٨٠٥م) بعد تحول عسكريٍّ نتيجة تمرد مدني أعلنه أهل «الجزائر» ضد «الدَّاي»، وقبره موجود بمنطقة «باب الوادي» في العاصمة « الجزائرية» وهو قريب من مقر القصر (محمد بكري ، ٢٠١٦م ، مقالة منشورة) .

- **وصف القصر:**

وفي «قصر مصطفى باشا» توجد ساحة تتطلق عليها «صحن الدار»، يوجد بها نافورة رخامية، ودورين بالأعلى، والأسفل تربط بينهما أعمدة مصنوعة من الرخام القوي، ويوجد به عدد ثماني حجرات جعلتها الحكومة « الجزائرية» متحف للخط الأصيل؛ ومنعت المترددين على المتحف من تصوير الحجر. وتحمل طوابق القصر الثلاث أعمدة رخامية سميكة مُلتوية الفناء محمي بقباب متراصة وموزعة بمنافذ زخرفية تشكل مقاعد للنوافذ. وهناك أيضا مدخل ثاني للقاعة التي تطل على بابين مؤطرين بالرخام يربط السقيفة الرئيسية التي يستخدمها الزوار لدخول الفناء الداخلي. ويحيط بمركز الشقق السكنية أروقة مدعومة بأقواس ترتكز على أعمدة رخامية وتتميز بالبلاط المزخرف. يتم دعم الأسقف بعوارض خشبية تغطي الأروقة في الطابق الأرضي والطابق الأول من القصر.

ويوجد بمدخل القصر من جهة اليمين سلالم خاصة بالدَّاي وأسرته، توصل إلى الحجرات الخمسة الكائنة بالطابق العلويِّ، ويوجد بالجهة اليسرى سلالم أخرى للعاملين بالقصر. وبعد صعودها يرى الزائر جزئيين آخرين: جزء خاص بحَمَّام «الداي وأسرته»، والجزء الثاني خاص بالمطبخ الضخم ويوجد به سبعة مدخنات، والعجيب أن السلالم المخصصة بالداي، والعاملين في كونها ليست متماثلة، أما سلالم «الدَّاي» مناسبة في الشكل، وبسيطة في الاستعمال، بخلاف سلالم العاملين فذات ارتفاع عالي، ويلاحظها كل من يستخدمها يشعر بالفرق الواضح بينهما. (محمد الطيب عقاب ، ٢٠٠٧م ، ص٨٤) .

ترميم القصر:

وقد أهتم المسؤولون بالقصر، فجعلت الحكومة _» الجزائرية» القصر متحفًا وطنيًا خاص بالخط، والزخرفة ، في(٧ من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة ٢٠٠٧م) ، برعاية قطاع الاستثمار الثقافي بمنطقة «»القصبة القديمة»،_

ومكانًا أثريًا معد للزيارة من السائحين، فقلبت كل الغرف وكان عددها ثمانية لمتحف شمل العديد من التابلوهات المزخرفة، وأشكال للخط بأنواعه، وهذه اللوحات ملفتة للنظر بشكل واضح، وتدل على رونق صانعيها «المبدعين_ بشكل رائع_ بعملهم في هذه اللوحات، وتعد هذه اللوحات من جميع الدول، علاوة على أن معظم الدول العربية مشتركة بها، وبعض الدول الأجنبية.

صورة رقم (١١) وتوضح لوحة توضيحية لشرح تاريخ قصر مصطفى باشا وُضعت على مدخل القصر، مصدر الصورة الباحث

صورة رقم (١٢) وتوضح قصر مصطفى باشا من الدخل، مصدر الصورة الباحث

٢- قصر حسن باشا:

• تاريخ القصر:

بُني القصر على نظام الطابع «المغربيِّ» في (سنة ١٧٩١م) وقد تم تشكيله مرة أخرى أثناء وجود الغزو، بالإضافة لوجود عناصر مستحدثة، ويقع قصر «أحمد باي «بالقصبة السفلى، بحيِّ «سوق الجمعة»، بجوار شارع «الحاج عمار»، ويعد جزء من جميع قصور جنينة، وقد بُني بالقرن السادس عشر كمقر سكني للدَّاي، بمواكبة الشكل السائد بتلك الحقبة، وحاليًا يحتوي على «مسار المسرح الوطنيِّ «الجزائري.»ويعتبر ذلك القصر المصمم على «الطراز المغربيّ»، وقد شهد العديد من التعديلات بنظام الشرقيّ، والنيوقوطيّ أثناء وجود الاستعمار، نموذج واقعي يعكس براعة العمارة المدنية بالجزائر عبر القرن ١٨م (Colin G ١٩٠١ p٧٣).

• وصف القصر:

ويعد صحن القصر أساس هذا المبنى؛ لأنه تلتف به القاعات، ومكون من دورين، ووحدتين، أما الواجهة الأساسية فهي على «الطراز النيوقوطيّ»، ويوجد بها «شبابيك قوطية» مُؤطّرة ببوابة رخامية، وأعمدة توصل لدهليز، وتوصل لغرفة كبيرة، يتصل بها درج ضخم تستخدم المداخل ذات الأشكال المنعرجة قديمًا_ بغض النظر إن كانت بالعمارة العسكرية، أو المدنية_ فنراها في «كركوان» بتونس مؤرخة تاريخيًا في القرن السادس ق.م، وأيضًا في «بريين» في اليونان، وتهدف_ باستخدامها بالعمارة المدنية_ المحافظة على الحياة الخاصة لقاطنيها (فوزى سعد الله ، ٢٠٠٧م ، ص٣٣) .

بالإضافة للطراز الإسلامي، فيأخذ شكل الصحن الأوسط، شكل مميز ويوجد حوله «أروقة» لها تأثيرات تعبر عن الفترة «الرومانية»، وأيضًا لأوقات أقدم لدول الرافدين «الفينيقيين»، والإغريق، وتحت هذه «الأروقة»_ ذات العمدة_ تطل مجموعة من الغرف تتوفر إحداهن بإيوان، ومن الطبيعي أن الشأن متعلق بالقاعة الخاصة بالاستقبالات، ويعد هذا الشكل الهندسيُّ المستخدم بالدور وفي القصور بالجزائر؛ يعد من المؤثرات ذات الطابع الشرقي القديم، وبصفة خاصة «الإيرانية» تحديدًا، تطل الحجر على «الأروقة» عبر أبواب لها مصاريع خشب تفتح للخارج، وكانت هذه سائدة في «الأندلس»، والمغرب، واختلف الغرب «المغربي» بصفة عامة، لكن لا نراها بالشرق، و»تونس».

يأخذ الصحن هيئة صفوف وأقواس منحنية، ومتجاوزة ،تعتمد على أعمدة من رخام، مبرومة بشكل «إيطاليِّ»، وفي «الجزائر» يظل القوس المتجاوز مكسورًا مما يُعطي عكس القوس صاحب الشكل الدائري على قابلية أكبر للتكيف مع الأرض الغير مسطحة، والفرق الملحوظ بين الأعمدة يلتف بالباب الخاص بالدرج، والمداخل الثانية المشتركة إطار رخامي مثل الوضع بأبواب النهضة الإيطالية، لكن السقف فهو مكون من الخشب المزخرف، والملون بذوق شرقي، أما الأقواس في القصر تنقل الذوق الأندلسي، وأيضًا نفس الأمر لعنصر الزليج، ونقوشه، وصناعة هذه الزخارف المميزة تحديدًا للقصور «العثمانيّة» في «الجزائر» مصنوعة من التربيعات الخزف المستوردة من تركيّا، «هولندا»، و»تونس» من «إزنيق» ومستورد من «إسبانيا». (الموروث الذي يروي تاريخ «الجزائر» مع الحضارات ، ٢٠٢٠ ، مقال منشور) .

صورة رقم (١٣) وتوضح قصر حسن باشا الواقع بجوار جامع كتشاوة والقصر حاليا يخضع لعمليات الترميم وكما هو واضح تم وضع بنر على واجهة القصر يوضح الشكل المستهدف من عمليات الترميم ، مصدر الصورة الباحث .

٣- قصر «الرياس»:

تم بناءة بواسطة الدولة «العثمانيّة» كأحد البوابات للتصدي للتعديات من الغازين، والطامعين في «الجزائر»، ووضع حدود للتعدي «الإسبانيِّ» المركز في شمال إفريقيا بالسابق، ظل قصر «الرياس» بسفح «القصبة» حاميًا لجوهرة البحر المتوسط خلال أزمنة عديدة من الصد، والمقاومة للتعديات البرتغال، والإسبان أما (حصن ٢٣) والذي قد تم بناءه في (عام ١٥٧٦م) بقرار من «الداي رمضان باشا» مكون من: ثلاثة قصور لها أرقام(١٧ و ١٨ و ٢٣) فكانت ترمز بأنها: حائل في وجه المعتدين وامتداد طبيعي بالقصبة. (نور الدين عبد القادر، ٢٠٠٦م، ص٩٤-١٢٣).

- **وصف القصر:**

وهو مكون من ثلاثة أبنية ضخمة وعدد من ستة حجر (بيوت أكثر تواضعا)، بالإضافة لوجود زخارف مكررة، وكما يظهر من بلاط الأرضية السيراميك، وشكل الدرابزين الخشب المنحوت، والأعمدة ذات الرخام، وكذلك السقف المزين، ويحتوي على تراسًا يشرف على الموقع ومطل على البحر، وأيضًا يوجد حمام تقليدي، ، وبالوقت الحالي يعد هذا القصر مكان للثقافة. (قصر رياس البحر.. حصن حمى «الجزائر» ثلاثة قرون، ٢٠١٨م، مقالة منشورة).

فجمال المكان وهيبته يشجع الزائرين بصعد الأدراج التي توصل للطابق الأول بطول منحني مزخرف بالدرابزينات آخِذًا اللون «الماهوجني» بمهارة؛ ويشعر برواق مضيء بسخاء يوصل إلى باحة، وعنده رغبة قوية باكتشاف العديد، ويذهب الزوار إلى قاعة الاحتفالات فهي ضخمة، وذات فخامة كبيرة توضح طرق القدماء بما يخص الخزانات الحائطية المزخرفة بالأبواب الزجاجية الملونة بالعديد من الألوان، ويرى الزوار من عبر باب بالأسفل المطبخ الذي كان يحتفظ بروائح العديد من التوابل والتي قد أحضرت من كافة بلاد العالم، وكما يوجد بإحدى أركان الحجرة أيضًا هناك موقد كان يستخدم لطهي اللحوم، وشواء الأسماك.

ثم يُكمل الزوار ـالمبهورين بهذه الحضارة التي تألقت لفترات طويلة بمنطقة البحر المتوسط ـبحثهم خلال الزمن لمزيد من الاستكشافات المبهرة خلف أبواب الرواق، والتي تحملها أركان من مكونة من الرخام ما زالت شاهدة على الإبداع، ولكن من أن هناك بناء نظير قاعة الاحتفالات، ألا أن الغرف الأربعة تعني وقت ممتع فعلًا للزائرين، المبهورين بالنقوش، والزخرفة، التي تبين قمة ذكاء من صنعها، ويعتبر الدور الثاني والمُحاط بدعامات مصنوعة من الرخام، والدرابزينات والمزينة بالعديد من المنحوتات المليئة باللمسات الفنية في السقف من زجاج ملون بمجموعة من الألوان، ويعكس على الرفوف إشعاعات جذابة.

ويوجد عند نهاية القصر «إصطبل» مخصص للحيوانات، ولكن لا يوجد اختلاف بين القصر رقم ١٨، وهو المبنى الثاني ويعد بكونه مقر للرياس كثيرًا، عن غيره من القصر المرقم بـــ ٢٣ ويضم أعداد أكثر من الحجر، ومكان القصر المرقم بـــ ١٧ بصغر حجمه وهو قريب من عشش الصيادين، والحصن المرقم بـــ ٢٣ والذي شاهد وقت مجيدًا بوقت صعب؛ حينما استوطن غداة الاستقلال بشكل عشوائي من جهة عائلات كانت تشتكي من وجود أزمة سكن ،وذلك قبل أن يتم الاستغناء عنه، وتعد هذه مصيبة ثقافية، فتم إحالة كفالته بالموقع، وجعله تراث ثقافي تاريخي (بدر الدرين بلقاضي ، ٢٠٠٣م ، ص٢٦٠) .

- **ترميم القصر:**

وعاصر هذه الثروة التاريخيّة عملية صيانة ترميمية بدأت بها «وزارة الثقافة» من خلال مساعدة الوكالة الوطنية للأماكن التاريخيّة، وظلت أعمال الترميم التي قامت برعايتها مؤسسة «إيطالية»، وفريق من خبراء تِقَنيّون من «الجزائر» من(عام ١٩٨٧م إلى عام ١٩٩٣م)، كما أتاحت للحصن بعودة أمجاده الماضية، وتهتم «وزارة الثقافة»، والاتصال بالتكاتف مع مديرية قصر «الرياس» بالاتفاق أن تتخذ هذا الموقع مقرًا ومنارة حضاريّة، كما تعودت الأفواج الأجنبية التي القادمة للجزائر بزيارة هذا المكان التاريخيّ، كما يأتي عدد كبير من الزائرين بصفة مستمرة بالقصر من عبر بوابة مصنوعة من الخشب وضخمة الحجم؛ تتيح لهم معرفة التاريخ، وقد زار القصر العديد من الشخصيات الهامة من رؤساء دول، ووزراء من كافة أنحاء العالم العربي، والغربي، بالإضافة إلى ذلك، يحتوي قصر «الرياس» على العديد من معارض، وأنشطة ثقافية خلال العام، كما يقام به بعض الحفلات الدينية.

صورة رقم (١٤) وتوضح قصر «الرياس» الواقع مباشرتا على البحر في «القصبة» السفلى ، مصدر الصورة الباحث .

صورة رقم (١٥) وتوضح قصر «الرياس» من الداخل ، مصدر الصورة الباحث .

سادسا : أبواب «القصبة» وأسواقها

يوجد لقصبة «الجزائر» عدة أبواب منها: باب «البحر»، وباب «الواد»، وباب «عزون»، وباب «دزاير»، وباب «جديد»، وكان لها نظام تسير عليه؛ فلا تفتح إلا مع شروق الشمس، وتغلق بغروب الشمس، وتكون «القصبة» ـفي الصباحـ عبارة: عن سوق كبير يضم عدد من الدكاكين، والمحلاّت ذات الطابع التجاري المميز، فتتنوع التجارة بين الحليِّ، الفواكه، والأطعمة بكافة أنواعها، والملبوسات، والأنتيكات، خلال هذه الأزقّة الصغيرة، التي لا تسمح للسيارات الكبيرة بالمرور بها، وحتى عامل النظافة يستخدمون الحمير لنقل المخلفات؛ بسبب عدم قدرة وسائل النقل الدخول لهذا المكان الصغير. (فوزى سعد الله، ٢٠٠٧م، ص٢١).

وقد أهتم «العثمانيّون» بإحاطة المدينة بأسوارٍ مزدوجة بعدد من الأبراج كمقر استراتيجي في الدفاع عنها، وخصصت لها أبواب تُفتح في الصباح، وتُغلق في نهاية النهار، ومن أهم هذه الأبواب باب» البحرية»، ثم باب «الجزيرة»، وهو موجود بالجهة الشرقية، ويطلق عليه: باب» الجهاد»؛ لأنه كان الباب المخصص بدخول، وخروج القراصنة، والصيادين بالبحار، وأطلق عليه الغزاة الفرنسيّون :باب» فرنس» ، ثم سموه : باب» البحر»، ولكن الشعب يسمونه بباب «الجزيرة»_ إلى وقتنا الحالي_ وهو من أشد الأبواب قوة، وبجواره كانت العديد من ثكنات للانكشارية البحرية.

– باب» الديوانة»، أو» السماكة»: ومكانه بالجهة الشمالية الشرقية، وكان مخصوصًا بأشغال التجارة البحرية ويمر منها الصيد البحريّ، ولهذا أطلق عليه: باب «السماكة».

– باب «عزون»: ويكون بالجهة الجنوبيّة الشرقية، وتنتمي هذه الباب لأحد الثوار من الشعب، وكان اسمه «عزون»_ وهو ثائر ضد الحكم التركيّ_ ويعد هذا الباب من أكبر أبواب المدينة أهمية، حيث يمر منه العائدون من الجنوب، والشرق، وتعتبر أهم طرق التي تربط المدينة بشرق البلاد.

– باب الوادي: ويكون بالجهة الشمالية الغربيّة، وقد شاعت عليه هذه التسمية؛ بسبب الوادي الذي يسير بجوارها، وتفتح اتجاه الشمال، أو اتجاه الطريق التي تقطع جبل «بوزريعة»، ولم يكن من الأبواب المهمة، كما كان يطلق عليه: «باب الموت»؛ لأنه كان يفتح على المقابر في ذلك الوقت. (علي حليمي عبد القادر ،١٩٧٢م ، ص٣٣٢) .

– باب «الجديد»: وهو موجود بالجهة الجنوبيّة الغربيّة، ويعد من الأبواب الجديدة بالقصبة»، ويمر منه العائدون من الغرب، ومن البليدة، ويرتبط بطريق رئيسيّ في غرب البلاد من بداية «العهد الرومانيّ»، وهو طريق خطر؛ حيث يخترق المرتفعات (محمد الطيب عقاب ، ٢٠٠٧م ، ص٣٣).

– باب «القصبة» العليا (دار السلطان) فهو عبارة عن: حائل يحجز بين «القصبة»، وبين المدينة، وقد اعتاد البوابون غلق الأبواب، ويسلمون المفاتيح للمسؤول عن الباب، لكن كانت بعض» الدايات «كانوا يأخذون نسخة من المفاتيح، للاحتفاظ بها لحدوث أيّ مفاجئات. (عبد القادر حليمي، ١٩٧٢م ، ص٣٣٤).

فقد أزال «المحتل الفرنسي» سور المدينة الخاص بها، وكذلك أبوابها خلال الاحتلال، ولكن الشعب لا ينسى تاريخه، ولهذا فإن المعتاد في الكلام عن «القصبة» عبر الأسماء للأماكن الموجود بها تلك الأبواب القديمة للمدينة مثل باب «جديد»، وباب «الواد»، وباب «عزون». فنرى التجمعات التجارية بالسوق مثل: سوق حي جامع» كتشاوة»، وسوق «مسجد اليهود» (الكنيسة القديمة للعاصمة)، وقد حافظت بعض الأسواق على كيانها، مثل: سوق «شارع باب عزون» وهو قائم على تجارة الملبوسات، كما أن سوق «الجزائر» فقد كان محجوبًا ببداية الاحتلال، ولكن لم يستسلم لذلك فهو يعود وبقوة وتكثر تعاملاته، كما تضم «القصبة» العديد من أصحاب المهن البارعين بمجالاتهم المتنوعة، والتي يستخدموها للسير في الحياة متمكنين، فكل فئة حرفية تتجمع بمكان معين، وفي بعض الأوقات كان الحرفة هي مصدر للكسب، ومع الوقت انتكثت بسبب الغزو، فبعُد العديد من أصحاب الحرف عن مهنتهم، بعكس القطاعات المحلية تولي اهتمام كبير بالحفاظ على هذه الحرف التراثية. (فوزى سعد الله ،٢٠٠٧، ص٢٨).

سابعا : سكان القصبة .

١- العثمانيّـون الأتـراك أو الطبقـة الأرسـتقراطية: فقـد بلـغ عددهـم مـا يقـارب(١٠٠٠) بالأيـام الأولى مـن دخـول الأتـراك لمدينـة «الجزائـر»، وزاد(لــ ٢٢ ألـف شـخص) خـلال فـترة الانتعـاش، وقـد انخفـض (لــ ٧ آلاف نسـمة) خـلال فـترة التقهقـر، فقـد بلـغ عددهـم (عـام ١١٩٠م)، أثنـاء الغـزو بمقـدار (٢٠ ألـف شـخص)، وعـلى الرغـم مـن انخفـاض أعدادهـم إلا أنهـم كانـوا القـوى المهيمنـة عـلى القيـادة، والوظائـف العليـا.

٢- الكراغلـة: ويعرفـوا بأنهـم: مجموعـة ينتسـبون لأب مـن جـذور «تركيّـة»، وأم مـن أصـل جزائـري، وبعمـل حـصر لعددهـم تبـين أنهـم بلغـوا بنهايـة (القـرن ١١) بمقـدار (١٠٠٠ نسـمة)، وهـؤلاء المجموعـة لم تنـل أي وظائـف بالحكومـة، ولم يجنـدوا بشـكل رسـمي بالجيـش، ولكنهـم كانـوا يمتلكـون ثـروات ويفضلـون اسـتثمارها في الأراضي الزراعيـة، ويتنزهـون عـن العمـل بالمـزارع والعمـل بمهـن بسـيطة. (نـور الديـن عبـد القـادر ، ٢٠٠٦م، ص٤٧) .

٣- المهاجـرون الأندلسـيون: هـم جماعـات هربـوا مـن ذل» الإسـبان»، لكـن كان لهـم دور قـوي وبنـاء في رفـع المسـتوى الاقتصـادي، والتجـاري عـلى الصعيـد الداخـلي؛ فقـد سـاعدوا بأموالهـم، وبكفاءتهـم في مهـن هـم أصحـاب فـن بهـا في مجـال تصنيـع الأسـلحة بكافـة أنواعهـا، وصناعـة الملابـس بشـكل متطـور، عـلاوة عـلى إتقانهـم لصناعـة الأنتيـكات المعدنيـة، والخزفيـة.

٤- اليهـود: وهـذا العنـصر مهـم جـدًا للغايـة؛ حيـث أنهـم لا يمثلـون عـدد كبـير فقـد تولـوا عـدة أمـور تتصـف بالحيويـة والثـراء، بارعـين بـكل النواحـي التجاريـة؛ فقـد كانـوا يتعاملـون مـع» الـداي «قيـادات الحكومـة (الريـاس) ويتولـوا مهـام البيـع، كـما كانـوا لا يتوقفـون عـن عمـل المقاولـة، والتوسـط بـين الأطـراف في بـكل عمليـات التجـارة بكافـة أنواعهـا حتـى لـو كانـت بسـيطة، ويكـون عائدهـا ضعيـف. (عـمار بوحـوش، ١٩٩٧م ، ص٥١).

٥- النصـارى: فهـم الفئـة الضعيفـة الذيـن أسرهـم «الأتـراك» في حروبهـم للتصـدي للأعـداء لمختلـف الـدول الأجنبيـة، فقـد زاد عددهـم حـوالي (٩٤ ألـف نسـمة) في بدايـة (القـرن ١٧)، ثـم انخفضـوا حتـى وصلـوا لــ(٢٠٠٠ نسـمة عـام ١٧١٣ م)، ثـم (١١٧٢ نسـمة عـام ١١١١ م)، وفي (عـام ١١٩٠ م)حـصرت أعدادهـم بمقـدار(١٢٢ نسـمة).

٦- جماعـة الحـضر: وتعـد الأسر الحضريـة القائمـة بالبـلاد وهـي كانـت موجـودة بالفعـل قبـل قـدوم» الأتـراك»، وهـذه الطبقـة تعـد مـن الطبقـات المميـزة بوضعهـا الاجتماعـي اللامـع، والمتألـق، فمعظـم أشـخاصها يعملـون بالتجـارة ويملكـون عـدد مـن العقـارات، والمحـلات التجاريـة، ويتقنـون المهـن المربحـة، وتشـمل هـذه المجموعـة: فئـة الصنائـع، والمتعلمـين، وكبـار العلـماء، وخـبراء التجـارة، وذوي المهـن الدقيقـة (عبـد الله بـن متـولي الشـويهد ، ٢٠٠٦م ، ص١٢٣).

٧- الأهـالي أو الفئـة البرانيـة: وتتكـون مـن الفئـات السـكانية التـي هاجـرت للجزائـر؛ بهـدف العمـل والعيـش بهـا، وهـم معروفـين بمكانهـم الأصـلي، واتخـذت كل فئـة مـن هـذه الجماعـة أشـغال مخصصـة، ويتـولى مطلـق التحكـم في أمورهـم:» مقـدم «أو «أمـين» يتـم اختيـاره مـن بينهـم ، وتعتـبر جماعـة القبائـل مـن أهـم هـذه الطوائـف

(أحمد دوم ،٢٠٠٢م ،ص١١) .

٨- نمو السكان: من بداية استقرار الوضع للأتراك بالجزائر» زادت الكتلة السكانية وتعرف بزيادات معتبرة، وهذا بداية (القرن ١١ م إلى آخر القرن ١٧ م)، فقد حصر «ليون الإفريقيّ» أعداد السكان (عام ١٤١١م) بمقدار(٧ آلاف موقد، بمعنى ٢٠ ألف شخص)، وهذا لعدة أسباب، أكثرها أهمية قدوم الأفراد العثمانيين من شرق «آسيا الصغرى»، وزيادة أعداد الأسرى المسيحيين بسبب كثرة الاحتلال (محمد الطيب عقاب ،٢٠٠٧م ، ص٨٢) . لكن بعد الاستقلال ترك معظم ملاك العقارات «الدويرات» في «القصبة» باتجاه المدينة الحديثة؛ فقد أقاموا ببيوت تأخذ الطابع «الأوروبيِّ»، خصوصًا بحيّ «ديدوش مصطفى باشا»، وأيضًا في حيّ «البريد المركزيّ» هذا موازاة فقد انتقل الحيّ إلى مقر لاستقبال لكتل من السكان القادمين من بلاد ريفية للعمل، والبحث عن عيشة جديدة لم تكن متوفرة بالريف، والذي لم تكن به مقومات الحياة الطبيعية مثل: (سياسة الأرض المحروقة) وقد استخدمها الاحتلال، فاتجهوا للقصبة؛ بحثًا عن مكان للإقامة بأجر بسيط مقارنة بباقي المناطق بالعاصمة الأخرى، فزادت أعداد سكان الحيّ (عام ١٩٦٦م) إلى (٨٧٩٤٢ نسمة)، وانتشر عدم الاستقرار(٢٠ عاما) عقب الاستقلال حتي كان الأعداد تتوسط ما بين (٦٠ ألف و ١٠٠ ألف شخص)، وتكون البلد الأكبر رفعة في عهد «الأتراك» في «الجزائر»، والتي كانت تعمل على توفير أكثر قدر من المتعة، ولكن عقب سقوط العديد من البيوت العتيقة، وبدء الدولة بعملية إعادة التوطين، وترحيل الأسر المتأثرة (عام ١٩٨٥م)، تراجع عدد المواطنين (عام ١٩٨٩م) ليكون (٦٠٥٦٦ مواطنا) بدلا من(٨٠ ألف) التي كانت تسكن «القصبة» عام ١٩٨٠، وعلى أساس الإحصائيات (سنة ١٩٩٣م) التي أنشأها «ديوان الإحصاء الوطني» فإن عدد مواطنين «القصبة» كانوا (٦٨٦٥٤ مواطنا) إذا علمنا أنه أكثر من (٣٠ أو ٤٠ ألف مواطن)؛ أُعيد توطينهم تحت إشراف برامج للتقليل من كثافة المكان وإنقاذ المتأثرين بخطر التدميريات ، هذه الكثافة بلغت عدد هائل قارب الـ (٢٢٠٠ مواطن / هكتار) في أعوام الثمانينات (قرار كركم ، ٢٠٠٣م ، ص٦٣) .

ثامنا : البيئة الاقتصادية والتجارية بالقصبة:

مراعاة لاقتراب وموازاة منطقة «القصبة» للبحر، وكما نعرف ما الذى يميز ميناء دولة «الجزائر» من أعمال، وحيوية تجارية، ومراعاة لوقوع المنطقة في أكبر الأماكن الحضرية والتجارية في «الجزائر» بأكملها؛ فإن القاعدة الاقتصادية بالمنطقة؛ تسمح لساكنها بقدر كبير من النشاط المتاح، كما أنها على طبقتين، فمن ناحية معظم الأنشطة تتعدى نهايات منطقة «القصبة» حتى تصل منتجاتها إلى جميع أرجاء المدينة الجديدة،_ و في الغالب «الجزائر»_ بأكملها، كالأنشطة التخزينية والبيع بالجملة، من ناحية أخرى تضم أنشطة لسكان منطقة «القصبة»؛ من أجل توفير متطلباتهم. تتواجد في منطقة «القصبة» العديد من الحِرف اليدوية، والصناعات التقليدية التي تشتهر بها الكثير من مدن «الجزائر»، بل «الجزائر» بأكملها، حيث تعرف الصناعات» الجزائرية» التقليدية حيث إن أحيائها وأزقّتها كانت مقسمة حسب الصناعة اليدوية التي تميزها، فظل كل شارع يحمل اسم المهنة الذي كان موجود به، مثل: شارع «الصيَّاغين»، وحارة «العطارة»، وحارة «الدباغة»، فكل حي من هذه الأحياء يشمل ورش للصناعات التقليدية ففي الغالب ما تزاول نشاط بيع هذه المنتجات. ولأن الحيّ مطل على الميناء، والبحر، فإن المنطقة السفلى من منطقة

«القصبة» قُلبت لمستودع واسع للسلع العائدة من خارج الوطن خلال الميناء، وتعد التجارة حيوية بها؛ حيث تسود المستودعات، وكثرت المخازن التي تزاول أنشطة البيع بالجملة، وتصريف المنتجات الأخرى خصوصًا الأوروبية منها، والمنتجات العربية مثل: الملابس، والآلات، والمنسوجات، وكما يوجد أيضًا دكاكين مخصصة لبيع الإنتاج المحلي كالمعادن، والجلود، والأدوات المنزلية (بدر الدين بلقاضي ، ٢٠٠٣م، ص٢٥٩) .

وتعد «القصبة» مشهورة كذلك بوفرة الأسواق، المليئة دائمًا بالأشخاص المقيمين في «القصبة»، ويعد الغالبية منهم قادمون من خارج «القصبة»، وحتى من خارج مدينة «الجزائر»، وأشهر هذه الأسواق، وأضخمها سوق «عمر القامة» وهو يحتوي على (٣٠٠ تاربيزة) لأداء البيع، وأيضًا سوق «أحمد بوزرينة» وبه (١٢٥ ترابيزة)، وسوق «علي عمار» وعنده ٧٦ طاولة، علاوة على توفير «القصبة» على ورش للصناعة العادية، والمصوغات، وأماكن محدودة للملابس المصنوعة حوالي(١٩٤ منفذ تجاري)، والعديد من المقاهي، والمطاعم، ومما يساعد على انتعاش حركة البيع والشراء وجود المحلات مطلة على البحر. شارع «أحمد بورينة» جزء من شارع «على عمار» وأرض الشهداء، والفراغات الواسعة الموجودة بحيّ «البحرية» تقف ضد الامتدادات للمقر القديم المنتعش بالأنشطة اتجاه أعلى المنطقة الشمالية، فتهدأ الحركة في هذه المنطقة. (ديوان التدخلات وتنظيم عمليات تهيئة «القصبة»، ١٩٨٨م ، ص٢٤٤).

أمثلة من بعض حِرف «القصبة»:

١- مصانع النحاس:

وتقع «دار النحاس» _والتي تتخطى سور المدينة بكثير، عن طريق بُرْجها ذو الثماني أضلاع_ قريب من «باب الوادي»، وتتميز على هيئة نتوء، فقد كان مكانها على زاوية إحدى «الأزقّة» التي سميت باسمها - يعني زنقة النحاس (عام ١٨٣٠م)، فقد كان هذا المكان قائم (عام ١٧٠٦م)، فقد قال كاتب غربي: بأنه كان في إحدى محاولات افتداء الرهائن فقام بها عدد من قساوسة، وعزم السكان بالمشي بهؤلاء الرهائن لدار النحاس ليشعل بهم النار وهم أحياء، ولكن لم يرضى أحد القادة بهذه الطريقة فلم يساعد بتنفيذ الحكم عليهم بذلك، وقال «ديفولكس»: حيث أن المدينة كانت تتكل بجلب الأسلحة على البلدان «الأوربية»_ المهزومة وقتها_ فكان يستخدم بنفس ذات الوقت ضدها، وكذلك الصناعات الداخلية أيضًا تستند على غيرها من العمالة الأجنبية، وكانت «دار النحاس» تحتل مساحة تقدر بـ(٦٥٣,٨٩ م٢)، وقد تغيرت أول أيام الغزو الفرنسيِّ إلى إسطبل، وبعد ذلك أزيل (عام ١٨٦٩م). (بدر الدين بلقاضي - مصطفى بن حموش، قصبة «الجزائر» ،٢٠٠٣) .

٢- دار البارود:

تذكر بعض الوثائق إلى أنه كان موجود بالمدينة مكان مخصص للبارود، قريب من «باب الوادي» بيمين الخارج، وأعمدته باتجاه السور الخارجيّ، ولكن حدث انفجار هائل فأفنى الموجود حولها، ولكن تم إعادة بناؤها، وفي هذه المرة لم تكن مكان للبارود، وأحيانًا كان البارود يُشترى من «أوروبا»؛ على هيئة فدية، أو هدايا، ويتضح بالمقابل أن مكانًا آخر أُعد بخارج المدينة قريب من قبر الولي «سيدى يعقوب»، وقد أكتمل البناء بواسطة «الباشا مصطفى» نحو (عام ١٨٠٥م)، وقام «ديفولكس» بترجمة لائحة يُذكر

فيها أن الوالي أمر بناء بنية مخصصة للبارود، بمكان قريب من شاطئ البحر بجوار إحدى الطرق الموصلة إلى لاتجاه «الزغارة»، وإلى ميناء «مرسى الذبان» وهما موجدين بخارج «باب الوادي» (فيفي بن قارة محمد ، ٢٠١٩م ، ص١٨) .

تاسعا: بعض عادات وتقاليد أهل «القصبة» العتيقة.

** وكان سكان «القصبة» قد تعودوا على فعل أمر سنويًا _وبالتحديد بشهر «شعبان»، ويُظن إنه استعداد لشهر «رمضان المبارك» _هو: تجميع النقود التي تكفي للطلاء، أو رش البيوت بطريقة معينة تبدأ من باب المنزل إلى أعلى السطح، وهي مرة بكل شهر أيضًا، فيتم الإجراء (التلسيس)، وهو: محاولة رش الأماكن القريبة من الأرض لمنتصف المنزل، والمناطق التي كانت أكثر عرضة للمسّ، وهو تجربة من «القصبيين» لدوام المحافظة على نقاء المحيط، وحتى يكون المكان مريح لكل أتى إليه، وذلك بتكاتف واتحاد جميع قانطين المكان، واتحاد الكل فيما يهمهم. (وداش ضاوية ، ٢٠٠٩م ،ص٨١) .

** أما اليوم المخصص للحمام، فيُعد من الأيام التي لها قيمة، واحتفال، وطقوس خاصة به: كيوم وضع الحنة للعروسة بالقصبة، ففي هذا اليوم تأتي كل المقربات من أهل، وصديقات، والجارات العزيزات؛ بدعوة مسبقة، فيستعدنَّ ويذهبنَّ للحمام بشكل رائع، ومهذب، لكنه مبهج، فيصفقنَّ، ويغنين بأحلى أغاني العرس، وتقوم إحدى البارعات بإصدار «الزغاريد» بمهارة عالية فتدخل الفرحة على كل الموجودين، وبعد أن تستحم العروسة بواسطة (الطيّابة) ، وبذلك الوقت يكون قد أتى من بيتها وعاء به حلويات مجهزة للعروسة، وأيضًا وعاء مليء بالشربات، وبعض الزهور، وأهمها: الياسمين وتوزع على كل الحاضرات معها بالحمام، لكن الأسر الثرية لها بعض الطقوس الخاصة بالاحتفال، وتحضر هذه المناسبة مطربة بفرقتها كاملةً. (فوزية لرداي، ٢٠٠٢م، ص٤٢) .

** ومن الاحتفالات الجميلة والمشجعة: الاحتفال بالطفل الصائم لأول مرة بالقصبة، فيعطرون الصغير الصائم الجديد، ويسقوه عند سماع الأذان شربات احتفالًا به، واستكمالًا لهذه الطقوس يتم الشرب من القرب من البئر، أو فوقه (الكثير من بيوت «القصبة» عندهم أبيار في موجودة وسط الدار)، وبالمساء_ وعقب الإفطار، وفي مناخ رمضاني جميل_ كل الأعزاء يجتمعون حتى يكملوا الاحتفال بذلك الحدث المهم وتقدم هدايا للطفل من باب: التشجيع، والفرحة به.

** ومن ضمن الاحتفالات يوم «السدان»: وهذا اليوم يكون قبل العرس بسبعة أيام، تقوم العروسة بدعوة أحبابها لحضور هذا اليوم المهم فيجتمعنَّ ملتفين حول أطباق الحلويات والقهوة، قبل أن تقوم صاحبة العرس لدعوة الأحباب، والأهل والصديقات للعرس التي تنوي إقامته. أما «السدان» فهو عبارة عن: الإعلان عن ميعاد العرس، لكن عند بعض الأسر مسؤولة الحمام هي التي تقوم بتلك المهمة بأمر من صاحبة العرس لكونها تعلم كل أهل المكان، والأماكن المجاورة.

** المطبخ عند أهل «القصبة» أيضًا له خصوصيات، فلكل شيء به أهمية حتى أوعية الطبخ لديهم، حيث كان ومازالت يحفظ لطبق (السلاطة) شكل محدد، وآنية الطبخ حجم معين، ولكل نوع من أنواع الأطعمة طبق بشكل ووصف معين، و«الخيامة» هي: الاسم المعروف على المطبخ عند أهل «القصبة»، وقد كان في مطبخ جماعي لكل حي، وقد كان لكل واحدة موقدها الخاص بها تطهي عليه.

عاشرا : حالة «القصبة» اليوم.

١ – «القصبة» بعد الاستقلال:

وبعد الصدمة والقطيعة التي أحدثها احتلال الفرنسيّين للجزائر، والذي تجسّد بتشويه النسيج الحضريّ للقصبة، وذلك؛ بهدم أعداد كثيرة من البيوت التقليدية «الدويرات» وتعويضها بمنازل جديدة، وثكنات وشقّ طرقات واسعة، خاصة بالقصبة السفلى، وكذلك بفرض أنظمة اجتماعيٍّة، ونمط حياة حديث عن المجتمع «الجزائريّ» فقد عرفت «القصبة» قطيعة جديدة، وصدمة ثانية _عقب الاستقلال مباشرة_ لكن في هذه المرة لم يكن يتغير الشكل الهندسيّ للبيوت، وإنما مسّ التغير الفئات الاجتماعية القاطنة به حيث تطلع سكان «القصبة» الذين تعودوا على طريقة حياتها (خاصة أصحاب الملاك منهم) إلى دنيا جديدة، وهي الحياة والعثور ببيت جديد بالمدينة الجديدة بأطراف باب «عزون»، باب «الواد»، ، و«مصطفى باشا»، حيث استولوا على المباني التي تركها كبار السن الأجانب، ولم يتركوا مساكنهم في «القصبة» شاغرة، لكن تم تأجيرها لأكثر عدد مستطاع من الأسر هذه الأسر بأغلبها؛ جاءت من الريف، واعتادت بالسكن في الأكواخ فكيف حال المساكن الجديدة حسب النمط الحياة المعتاد عليه بالريف ومرت على «القصبة» حركات بشرية ، فأصبحت مقرًا رئيسي لاستقبال الموجات البشرية القادمة من الريف وهذا بسبب عدم استطاعة سكان الريف وقتها بالحصول على بيت حديث، وبسبب الأجرة المنخفضة الإيجار بالقصبة لذلك اتجهت «القصبة» من مقر سكنيٍّ قادر على توفير أكبر عدد من أسباب الرفاهية إلى مكان محروم؛ لأن القادمين الجدد من الأرياف أغلبهم من أسر محرومة، وتعاني من الفقر التي كانت تبحث عن حياة كريمة، فتركت ترميم البيوت بسبب حاجتها الأساسية، فأهملت ترميم المنازل، والغياب الجسدي للمالكين الذين لم يعد يهمهم في مساكن «القصبة» غير تحصيل الإيجار، والعثور على سكان جدد دون العناية بالمساكن القديمة، وقيمتها فبدأت الممارسات التقليدية المعروفة بالقصبة بالترك، وباتت مكان خاص للنازحين، والمتشردين، وفقدت مكانتها كمحور أساسي حيث ظل السكن بالقصبة» ضرورة ولم يعتبر كما كان تعبيرًا عن الأصول الحضرية، والانتماء للمدينة، والدويرة _التي كانت قفصًا ذهبيًا لأسرة واحدة عندها دورين، وفضاء «وسط الدار»_ أصبحت تسكنها أُسر كثيرة، بل الحجرة الواحدة فيها تسكن أسرة، أو اثنتين ببعض الحالات فضمحلت البيوت بالقصبة» بسبب الكثافة السكانيّة، والتي جمعت أرقام هائلة من حيث التكتل السكني بقدار ١٦٠٠(شخص بالهكتار المفرد)، فوصلت ببعض الحالات لـ (٢٢٠٠ شخص بالهكتار)، مع العلم أن الحد الأقصى المتقبل بمثل هذا الشارع لا يتعدى(٩٠٠ شخص بالهكتار الواحد)، هذا ما أوصل لتلاشي حيّ «القصبة»، وفقدان مكانته كمقر لصالح المدينة الحديثة، كما حدث مع الفرنسيّين قبل حصولهم على الاستقلال وما زاد بالأمر مشاكل هو: إهمال القيادات العمومية، وعدم تدخلها لانتشال ما بقي قائما بالقصبة بالإضافة إلى ذلك مشكلة السكن القائمة التي تعرضت لها «الجزائر» العاصمة، وعادت آثارها سلبًا بالقصبة فجعلت أسطح البيوت لأرض بناء، وظلت كلمة «القصبة» مرادفة للعديد من كلمات الأسى من: التهميش، والحرمان (قرار كركم ، ٢٠٠٣، ص٧٠) .

وعقب الاستقلال فكان من الطبيعيٍّ أن تستعيد «القصبة» مكانتها، وسياستها بالعاصمة_ وهذا هو حقها

الطبيعي لها تاريخ مجتمع ونمط حياته وقد عرفت أغلب المراحل الصارمة بتاريخ «الجزائر»_ ولكن الذي حدث عكس ذلك، وهو إهمال سلطات البلاد لهذا المقر التاريخيّ، وتوجهت حيال المدينة الحديثة.

٢ – حالة البنايات اليوم:

عقب انتهاء «الأتراك» من بناء قصبة «الجزائر» (عام ١٥٩١م) فظهرت عبارة عن نسيج عمرانيٍّ متجانس يضم (٨٠٠٠ مكان)، والتي تهدم الكثير منها في الزلزال الذي حدث له «الجزائر» (عام ١٧١٦م)لكن أعيد بناؤها بقواعد حديثة تقاوم أكثر الهزات الأرضية والكوارث الطبيعية الأخرى. وسنتان فقط عقب دخول الفرنسيّين بدأوا بإزالة البيوت العادية، وتعويضها بمبانٍ جديدة أو لِشقّ طرقات متسعة خاصة بالقصبة السفلى التي تعرضت لتشويه أكبر عكس «القصبة» العليا التي لم ترى أي تغيرات ملحوظة لكن اليوم فعدد البيوت الباقية؛ لم يصل حتى لربع البيوت التي كانت قائمة وقتها، وبحسب دراسة_ أُعلنت بالسبعينات، واشتركت فيها تنظيمات كبيرة، منها: ديوان التدخلات وتنظيم إحدى عمليات تهيئة «القصبة»، والوكالة الوطنية للآثار ورعاية الآثار التاريخيّة_ : فإن عدد البيوت بالقصبة قد بلغ(٢٠٠٠ بيت) تقريبًا، و(١٥٠٠ بناء) ومنها من المباني البسيطة التي بنيت بالعهد «العثمانيّ» وحالتها متوسطة الخطورة، وانقسمت على النحو التالي:

- ١٩٣ بحالة قدم متدهورة أي: ٨٦ , ٣٢ ٪.
- ٣٠٦ في حالة سيئة جدًا أي: ٤٠ , ٢٠ ٪.
- ٤٠٣ في حالة مقبولة أي: ٨٢ , ٢٦ ٪. (ديوان محافظة «الجزائر» الكبرى، ١٩٩٨) .

صورة رقم(١٦) وتوضح أحد أسواق «القصبة» قديما ، مصدر الصورة بن حوحو السعدى مرشد «القصبة» .

صورة رقم (١٧) وتوضح أحد أسواق «القصبة» حاليا حيث يتم عرض المنتجات داخل الأزقة الضيقة بالقصبة ،
مصدر الصورة ابن حوحو السعدى .

نتائج الدراسة

• تزخر مدينة القصبة الجزائرية بتراث معمارى فريد لا مثيل له حيث تعتبر مثالا للمستوطنات البشرية التقليدية الفريدة .

• استخدام الطراز الإسلامي في عمارة المنازل؛ حيث تستخدم المشربيات في الفتحات الخارجية للمنازل، وكذلك جميع غرف المنزل تطل على صحن داخلي.

• المدينة تشتهر بصناعة الجلود والسجاد وسباكة المعادن والحفر على الخشب، وغيرها من الصناعات اليدوية التي تجذب السياح لزيارة المدينة.

• تسكن الطبقات الفقيرة مدينة «القصبة»؛ وهذا ينعكس على نظرة الناس للأثر.

• تسكن الطبقات الفقيرة مدينة «القصبة»؛ وهذا ينعكس على نظرة الناس للأثر.

• تتم أعمال الترميم والصيانة في «القصبة» عن طريق مجموعة من العمال ذوى الخبرة، وبإشراف من مهندس معماري معتمد من وزارة الثقافة، وفى حالة وجود عناصر زخرفية دقيقة يتم جلب خبراء أجانب لترميمها.

• تعامل الناس مع الآثار في «القصبة» يختلف من شخص لأخر؛ حيث نجد المستأجر لا يهتم لأمر المدينة، ولا يقوم بتنظيف المنطقة المحيطة به، ولا يشارك في أعمال الترميم القائمة، بينما ملاك «القصبة» الأصليين يعرفون قيمتها؛ لارتباطهم بها بذكريات طويلة، يقومون بالمشاركة في أعمال التنظيف والترميم التي تتم للمدينة .

• انهيار مجموعة كبيرة من المنازل بسبب قلة أعمال الترميم التي تتم للمدينة، والجزء المتبقي من المدينة في حالة يرثى لها.

• قلة الاهتمام الحكومي بالمدينة جعل «اليونسكو» تهدد بسحب المدينة من قائمة التراث العالمي.

• رصد العديد من المشاكل التي تواجه التراث الثقافي في «القصبة» منها: العوامل البشرية التي تتمثل في الكتابة على الجدران، واستخدام حوائط المنازل لتعليق البضائع المعروضة للبيع.

المراجع

١ – الجزائر العاصمة مساجد العاصمة ،عراقة وتاريخ نسخة محفوظة ٠٨ يناير ٢٠١٨ على موقع واي باك مشين.

٢ – الصرخة الجزائرية: تاريخ التنصير في الجزائر لا للتنصير في الجزائر نسخة محفوظة ١٢ أكتوبر ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.

٣– الجلايلى ، تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠ ، ج ٤ .

٤ – بدر الدين بلقاضى - مصطفى بن حموش، قصبة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، ٢٠٠٣ .

٥ – جزايرس ، ترميم مسجد علي بتشين (الجزائر): إعادة فتح القاعة المخصصة للصلاة ابتداء من أول أيام

شهر رمضان نسخة محفوظة ١٠ أغسطس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.
٦- جوامع وزاويا «محروسة» قاومت احتلال «الفرنجة» فزال وبقيت... «مساجد القصبة بالجزائر» الشارقة نسخة ٢٤ محفوظة ٠٤ أغسطس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.
٧- ديوان محافظة الجزائر الكبرى ، الجزائر العاصمة عاصمة القرن ٢١ ، اوربانيس ، الجزائر ، ١٩٩٨ م .
٨- ديوان التدخلات وتنظيم عمليات تهيئة القصبة ، العدد ٥٠ ، الجزائر ، ١٩٨٨ م .
٩- قرار كركم ، آثار عمليات الترحيل على الاندماج الاجتماعي ، رسالة ماجستير فى علم الإجتماع الحضرى ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٣ .
١٠- رزوق نعيمة ،الشبكة المائية بالقصبة العليا بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة ماجستير فى الاثار ، معهد الأثار ، الجزائر ، ٢٠١١ .
١١- سيد أحمد باغلي، سلسلة فن وثقافة ، وزارة الإعلام الجزائر، النشرة الثانية ١٩٨٢ مفوزية لرداي ، صور من القصبة ، منشورات جمعية المرأة ، الجزائر ، ٢٠٠٢م .
١٢- سعد الله أبوالقاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج٥ ١٩٩٨م .
١٣- فوزي سعد الله ، قصبة الجزائر الذاكرة الحاضر والخواطر ، دار المعرفة ،الجزائر ،٢٠٠٧ م.
١٤- مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية (باللغة العربية)،الجزائر: دار الأمة، ٢٠٠٧ م .
١٥- محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٧ م .
١٦- عائشة كردون، المساجد التاريخية بالجزائر، منشورات ألفا، الجزائر، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،٢٠١١ م .
١٧- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيت الأفكار الدولية ، الاردن ، ٨٠٨ ه .
١٨- نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إنتهاء بالعهد التركى ، ط٢ ، الجزائر ، ١٩٦٥ م .
١٩- عبد الله الشويهد ، قانون أسواق مدينة الجزائر ١٦٩٥ : ١٧٠٥ ، البصائر الجديدة للنشر ، الجزائر ، ٢٠١٢ .
٢٠- عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية وحتى عام ١٩٦٢م ، دار الغرب الإسلامي الجزائر ، ١٩٩٧م .
٢١- علي حليمي عبد القادر ، مدينة الجزائر: نشأتها وتطورها قبل ١٨٣٠ ، دار الفكر الإسلامى ، الجزائر ، ١٩٧٢ م .
٢٢- على خلاصى ، قصبة مدينة الجزائر ، الجزء الأول ، دار الحضارة ، الجزائر ، ٢٠٠٧ .
٢٣- يحي بوعزيز ، الموجز فى تاريخ الجزائر القديم والوسيطة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ٢٠٠٦ .